Ibn-Zunbul, Ah̤mad Ibn-ʿAlī

Kitāb Tārīḫ wāqiʿat as-sulṭān al-ġūrī maʿa Salīm al-ʿUṯmānī - BSB Cod. arab. 411

[S.l.] 1625 [1034 H]

باسه طوه انكه لون اصطاها تيد
ر وضروعه كتريعا بوسطولون ايضنو ده ككلن
أي اءاي بندتس مدطائيس تها وطوكو
بجي ايصه تربزفيا ايسطوصوتينه اياصح





١٠

٢٥

تاريخ مصر لاحمد شلبي

دخل بملك العبد الفقير الياس بولص خياط الرومي

٨

نمره تاسع عشر
١٩

٥٩

[illegible]

كتاب تاريخ وقعة الغزري

هو والسلطان سليم وما جرى

له مع الجراكسه والملك طومان

باي من الحرب الشديد والطعن

المزير بوجود خاير بك

والغزالي على التمام

والكمال والحمد

لله وحده

على كل حا

ل تم

م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على النبي
محمد وصحبه واله وبعد فقد سال الفقير الى الله تعالى
الشيخ احمد الزنبلي الرمال التوفيق في التيسير
ان يولف سيرة الملك العادل الاشرف
السلطان الغوري مع الملك السلطان سليم
خان هو واجرا كسه وما جرى لهم من الكلام
العجيب بعد الف صلاة ترضي محمد الحبيب
يقول ذكر خروج السلطان الملك الاشرف
قانصوه الغوري رحمه الله تعالى
من مصر لملاقاة السلطان سليم بمرج
دابق فكان خروجه من مصر في يوم السبت
سادس عشر ربيع الاخر سنة اثنين وعشرين
وتسعمايه وكان امراء دولته في ذلك العهد
اولهم سودون العجمي امير كبير وارزكاس امير سلاح

امير

امير مجلس وسيدي محمد بن السلطان الغوري
امير اخور كبير سودون الدوادار زي راس
نوبة النوب انس باي حاجب الحجاب قانصوه
بن سلطان جركس تغطباي نايب القلعة قانصوه
لوت طومان باي دوادار كبير تنم الزردكاش
جان بلاط ابو اترسين تاني بك الجمال زندار
يزبك المحلل ازدمك الناشف وابرك راس الجلبان
واقتاي الطويل وسيبرسن بن عم السلطان
وكرتبيه الوالي ابو المفاخر والمعالي والامير
علان راس العرابضه والمشعان والامير
قانصوه الفاجر والامير قانصوه سنه والامير
قانصوه رحله هولا الاربعه وعشرين امير
اصحاب الطبلخانات في مصر لهم الامر والنهي
والحكم مثل السلطان وكان كرتبيه الوالي اعظمهم
حرمه واقربهم كلمه شجاعته وفروسيته

ومخاصمته للشجعان والابطال في حومة
الميدان وسياتي ذكر طرف مما كانوا عليه رحمهم
الله تعالى ذكر نواب البلاد التي كانت في حكمهم
فاول النواب نايب قطيه كان قانصوه رحله
واما القدس وغزه والرمله وما هناك من
الضياع على جميع ذلك الامير دولت باي
واما صعد وطرابيس الشام فسرون وصيبه
واعمالهم وكان النايب عليهم الامير عتراز
الاترمي واما دمشق الشام وكان نايبها
سيباي واما حمص وكان نايبها اضلان
بن براق واما حماه كان نايبها قنبردي
الغزالي لا لقاه الله خيرا واما حلب كان
نايبها الامير خاير بك واما البيره كان نايبها
جان بردي وعنتاب كان نايبها يونس بن
اقتيه واما قلعة الروم فكان نايبها ابن زيد
وكانت

وكانت ادنه وجميع بلاد مرعش واعمالها
الى ديار بكر بحكم على دولات والى حين ينتهي
الى ناحية الروم بحكم محمود بن رمضان
وكان على دولات يحمل المال الى مصر
من جميع حكمه وبلاده وهو الذي كان سببا
الفتنة بين السلطان سليم وبين الغوري
وخيربك ايضا الى ان حصل ما حصل
من القتل بين الفريقين ان ربك يفصل
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
ان الارض لله يورثها من يشا من عباده
والعاقبة للمتقين
وكانت اسيوط مع ابن سماي الاترجي والفيوم
والبهنسا كاشفهم جانم الاترجي ومنوف
كاشفها قانصوه العادلي ودمنهور مع يونس
العبدري والمحلة مع اليانس وكان مشهورا

بالظلم والثغور المحروسة وكان بابيها اباساكندر
قضابردي ودمياط كان نايبها علي باي واما
شايخ العربان في الصعيد الاعلي فكان عمر
علي جرجه واولاد الاحدب في الزرق فيشيخ
غزاله حماد بن خبير بالجيزه والامير حجازي
بن بغداد بالمنوفيه وشيخ البحيره كان الجويلي
واما الغربيه كان في نواحي سنهور حسن بن
مرعي وكانوا علي هذا الترتيب في زمن الغوري
رحمة الله عليهم اجمعين قال الراوي وكان
في الزرقيه احمد بن بقر وكان قليل الخير سيرته
لئيمه ونرجع الي خروج السلطان الغوري
من مصر فلما وصل الي غزه اقام بها ثلاثه
ايام فشكت الرعايا للسلطان من نايب غزه
فعزله ورسم عليه وعنفه علي فعله وظلمه
وزجره غاية الزجر وبعد ذلك رده اليها
لكونه

لكونه ابن عمه فورد عليه السلطان وهو
مقيم بغزه مكاتبه يذكر فيها الذي يعرضه المملوك
على المسامع العاليه اعلاها الله تعالي واداؤها
ان العبد سمع ان السلطان يريد السفر الى
قتال ابن عثمان وان المملوك يقوم بهذا الامر
ويكون مولانا السلطان مقيم بمصر فيمد عبد
المملوك بالعساكر المنصوره الذي نعلم به
مولانا السلطان ان خاير بك ملاحي علينا
ومكاتبته لا تنقطع من عند ابن عثمان
في كل حين فرد عليه السلطان هاانحن قد
جينا بانفسنا ثم امر بالرحيل بالجيوش
والعساكر وهم يموجون كالبحر الزاخر والبحر
الناظر فرسان كالعقبان الكواسر ولكن
اذا انزل القضا عمي البصر فالقي الله تعالي
فيهم الفتنه فكان كل من الاعيان يتمني

هلا ان السلطان حتي يكون هو السلطان
فبهذا الموجب هلكوا اجمعين ويعثوا علي
نياتهم ومن غريب صنع الله تعالي ان الغوري
كان عنده رملا لاجاز قاف كان كل حين يقول
له انظر من يلي الحكم بعدي فيقول حرف سين
فكان السلطان يعتقد انه سيباي وكان
كلما كتب سيباي للسلطان مما يفعل خاير بك
نايب حلب من الاثبات للسلطان سليم
بانه معه ملاخي علي ابنا جنسه ويحرضه
علي المجي الي اخذ ارض مصر من الجراكسة
والسلطان الغوري لا يقبل من سيباي نصيحة
حتي ينفذ قضا الله تعالي وقدره وكان
ما كان ولم يتمكن سيباي من ملاقات
السلطان الاعلي موضع وهي قرية من الشام
وحضر سيباي قدام السلطان وقدم مقدمة

عظيمة

عظيمة لها قدر وقيمة فشكره السلطان
على فعاله شكرًا زايدًا بعد ان خلع عليه خلعة
عظيمة ولم يخلع على احد من النواب غيره
وكل ذلك والسلطان يعتقد ان الخيانة
انما هي من سيباي وما قصده الا اخذ السلطنة
كما ذكره المنجم الرمال على حرف السين ولا
يظن ويخطر في فكره ان السلطان يقدر يدخل
ارض مصر لما يعلم من شجاعة الجراكسة
ولا يعينوا احدًا من اخذ بلادهم وما درا ان
الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة
للمتقين وكان السلطان الغوري يعلم ان
سيباي بطلًا من الابطال لا يخطر الموت له
على بال فانه كان فارس مناع وبطل
شجاع دايم عزم شديد وباس مديد
وكان السلطان لا يحب الا صحابه واما

بحيله

خاير بك فانه لم كان السلطان خسانا
لما يعلم من خيانته وعدم شجاعته فاخذه من لا
يختليه وكان سيباي من مماليك السلطان
قانيتباي رحمهما الله وكان رجلا بعد برجال
وهو الذي عمر المدرسة التي بدمشق المعروفه
بمدرسة سيباي وهي اذ خلصت من سويقه
الحابيه وانت طالب الى دار السعاده فتكون
على يسارك واوقف لها الاوقاف ورتب
لها الخيرات رحمه الله تعالى قال الناقل
وهو الشيخ احمد ابن زنبل المحلي الرسالة
ما جامع سيرة الجراكسه وما وقع بينهم
مع السلطان سليم بن عثمان فاما السلطان
كان له اخ اكبر منه يسمى السلطان احمد وكان
حاكم برصه وكان اخوه سلطان قورقط في ما نصبه اماسيه
والسلطان سليم قبل ان يتسلطن في در آيزدن طرابزون

ولكنه

6

ولكنه كان ذو همة عالية في طلب الملك
والرياسة على اخوته فالهمه الله لزواج ابنه
ملك التتر ليكون لهم ظهرًا فتزوجها ثم تجرد بعد
ذلك لاخذ الملك من ابيه لما سمع من الجواسيس
التي كانت تاتيه بالاخبار بان اباه ابا يزيد
ضعيف على موت وانه ارسل لولده احمد سلطان ليحضره
ويقلده الملك من بعده فحان احمد من اخيه
سليم لما يعلم من طلبه الملك لنفسه فتاخر عن سلطان
المجي فجرد السلطان سليم العساكر على ابيه
فلما سمع ابيه بذلك اخذته الغيره وامر
بالخروج لملاقاته فخرجت العساكر ووقع
الحرب بين الفريقين فكانت الكرة على السلطان
سليم فانهزم واخذت زردخانته فهرب الى الكفا
فدخل الى عند رجل يقال له كمال دواداز التاجر
فاضافه فمكث عنده مدة ايام فسكن له السلطان

سليم ما جرى له وما ذهب منه من المال
والرجال وهو متحير في امره وقد قصد اخذ
الملك من ابيه قبل ان يعطيه لاخيه احمد
فلم يصح له ذلك فقال كان عندنا من مال
ابيك شي كثير متحصل وكنا نريد نرسله
له نحوه ونقوى به فنفعل كما قال له كمال
وجمع عسكرا جرارا وكان السلطان سليم
لا يتوقف في جمع العسكر لا على رومي ولا على
عجمي كل من اختار ان يكون من عسكره يقبله
ويعطيه الجامكيه ويجعله من عسكره فجمع
اكثر من الاول وجرد على ابيه ثانيا
يريد القسطنطينيه وكانت عساكر ابيه كلهم
مالوا الى السلطان سليم لما يعلموا من علو
همته واما ابوه ابي يزيد فانه كان رجلا
مباركا من اوليا الله تعالى لا يحب العظمه

ولا

ولا التجبر وكان رأس العسكر اغات
الانكشاريه يونس اغا فلما وصل الخبر
الي السلطان ابي يزيد بان ولدك خرج
علينا ثانيا امر العسكر بالخروج لقتال ولده
سليم فلم يطعه احد من عسكره فجا السلطان
سليم الي ان وصل الي مدفن ابو ايوب الانصاري
رضي الله تعالى عنه فدخل الوزير الاعظم
وكان اذ ذاك مرحبان باشا علي السلطان
ابي يزيد واخبره بذلك واعلمه بان العسكر
كلها مالت الي سليم وبعضون لما يعلموا من
نفسك من الوطية الملوكيه وانت تعرف
ما يترتب علي ذلك فامره السلطان ابي يزيد
بان يقول لهم السلطان يولي عليكم ولده احمد
فابوا ذلك وقالوا ما نريد الا سليم كلمه
واحده فخرج السلطان ابي يزيد ليريد الكفا

بما له وعياله وان يقيم هناك ودخل سليم
الي القسطنطينيه فجلس علي تخت الملك وسافر
ابوه الي يوميين ومات الي رحمة الله تعالي
وهو غضبان عليه ودعي عليه حال خروجه
فلم يهن بالملك وما زال في حروب وكروب
الي ان مات سنة ست وعشرين وتسعمايه واما
احوال السلطان احمد فانه لما ارسل خليفة
ابوه ليقلده الملك الي ان وصل الي اسكدار
فلم يراه يرحل سليم ارسل لاخيه احمد خلعه
ورده الي مكانه ولذلك اخيه قرقوط ارسله
الي مملكته وهي ما نصه بر اناطولي واستقر
هو في الملك ثم ارسل خلف كمال الذي كان
بالكفا وجعله اغات الينكتاريه ويونس
اغا جعل وزيرا وجعل قرجات باشا
البكي وزيرا ثم نقيل ادوته فاستقل هو
بالملك

8

بالملك و لذلك اخنيه فرط ارسله الي مملكته

مصر واستجار بالغوري فاجاره فارسل سليم

يطلب من الغوري فابي ان يمكنه من ذلك

فاشتدت العداوة بينه وبين الغوري

قال الراوي ولما قوي العداوة بينهما

ان السلطان لما غزا اسمعيل شاه سلطان

العجم وجاز بالعساكر من علي البير وكان

نايبها علي الدولة من جهة السلطان قانصو

الغوري ملك مصر فامر علا الدولة اهل

مرعش ان لا يبيعوا علي عسكر السلطان سليم

شيا مطلقا من الماكل وغيرها فماتت

الكثر الناس والدواب لشده الغلا وكان

هذا سبب الحرب بينهما بين الغوري وسليم

وحصن علي الدولة البلاد كلها والحصار

والابراج فلما جري للسلطان سليم ذلك

اعرض عليه وزراوه ذلك لحصل له من الغنم

ما عليه من يد وكان السلطان سليم حادا المزاج

صعب الخلق قادر ان تامر العسكر بحمله على تلك

النواحي وبجاه مرعش فاشار عليه وزراوه

بالثاني وان يرسل بعلم الغوري بذلك فامر

بكتابة مرسوم الى ملك مصر قانصوه الغوري

يخبره بما فعل علا الدوله فاجابه الغوري

بان علا الدوله عاصي امره فان قدرت عليه

فاقتله وخلع على قصاده وان سليم ثم كتب

الغوري موسوما لعلا الدوله خفيه يشكره

على ما فعل ويغريه على قتال سليم شاه ولا يمكنه

من شي ابدا وكان قصد الغوري القا

الفتنه بين الاثنين رجا ان يقتل احدهما

او كلاهما فيكفي شرهما فانه كان يعرف

شده باس كل منهما فقوي قلب علا الدوله

على

على قتال سليم شاه واهليه شاه فانه لما
قرى جواب الغوري علم بفراسته انه خديعه
انه قد تحملت نفسه من الغوري غاية التحمل وكان
ذلك سببا لاثارة الفتنة بينهما حتى وقع
ما وقع كما هو مشهور ثم سافر سليم شاه الى ملا
اسمعيل ووقع الاتفاق بينهما بان يبطلا النار
ويتقاتلا بالسيف والعود فلم يثبت سليم شاه
غير ساعة وولى عسكره منهزما لان الروم
لا قدرة لهم على ملاقات من غير نار فعند
ذلك امر اغات الانكشاريه ان يرموا
بالنار فما كان الا ساعة وانهزم اسمعيل
شاه فان النار لا يطيقها احد فاخذ
السلطان سليم ما وجده من العجم وانثنى
راجعا منصورا مؤيدا لقتال علا الدوله
واما علا الدوله فانه جمع جيوشا الكثر

من جيوش سليم شاه وا المتقى الجمعان

فلم يكن لسليم قدرة على جيوش علا الدولة عسكره

لكثرتهم ولكن اذا حصلت النضره الالهيه

بالعنايه عانت على ذلك وكان مع سليم

بن سوارشاه وكان سوارشاه هو الملك

والحاكم على تلك البلاد هو اخو علا الدوله

فلما قبض على سوارشاه الحيله التي عملت

عليه وشنق على باب زويله بمصر في زمن

قايتباي على يد الامير يشبك الدوادار

كبير والقضيه مشهوره ثم اخذ علا الدوله

الحكم من بعده وكان لسوارشاه ولد وكان

الكراد لانه هرب الى السلطان سليم

فلازال عنده حتى وقع هذا الحرب مع

علا الدوله واصطف الفريقين للقتال

فخرج بن سوارشاه الى الميدان بين الجمعين

مادن

10

باذن من سليم وقال من عرفني فقد كفا
ومن لم يعرفني انا ابن سوارشاه ابن من
هو من العام ابي ابن المحسين لي ولو الذي
فليأتوا تحت صنجق ويكون تحت حماي من
عدوه ولا ابدان لكل انسان من يحبه ومن
يبغضه ممن كان يبغض علا الدوله وافترق
هو ومن يبغضه ممن كان يبغض علا الدولة
قالوا الي ابن ابن سوار فما تم غير ساعه
حتي قتل علا الدولة وغلب اولاده وقطعت
روسهم وجي بهم الي السلطان سليم فارسل
بهم الي الغوري فلما راهم حس قلبه بزوال
ملكه لتا بيلم من اختلاف عسكره عليه
كما وقع لعلا الدوله فان الملك ليس هو
ملك الا بعسكره فاذا انحرف عليه عسكره
ضاع حاله ثم ان سليم تطمعت اماله باخذ

مصر ثم امر بالتوجه الى الوزير ثم استشار
الوزير الاعظم وهو ابن هرسك ولعوه
بيري باشا فقال ابن هرسك للسلطان
سليم نحن وصادمنا مع عسكر مصر في زمن
ابيك وكنت انا باش الحكم فكروا اشد
كسره وقبضوا عليّا ودخلت مصر اسيرًا
حتى وقفت بين يدي السلطان قايتباي
ممن على بالطلاق وعفا عني عفا الله عنه وحلفت
له اني لا اسحب في وجهه امثل سيفا ابدا وصادق
على ذلك بيري باشا فعند ذلك بثلاثة
ايام امر باعزال الاثنين الملك سليم ثم سار
قاصدًا الى عسكر مصر فلما وصل الى مدينة
رملحوا اقام بها ينتظر الاخبار فلم ياتي احد
فامر بارسال قاضيا الى العزري وكان
القاضي اعرجًا فلا زال حتى وصل الى حلب
عزي

مزي وطاق العوري خال من العسكر مافيه
الاخوالف نفس لانهم كلهم دخلوا حلب واخرجوا
الناس من بيوتهم وفسقوا في حريمهم واولادهم
واذوهم الاذا البليغ وكان ذلك سببا
لقيام اهل حلب مع السلطان سليم على الجراكسه
لشدة ما حل بهم من الضرر من الجراكسه فلما
بلغ العوري انه جا قاصدا من عند السلطان
سليم فاذن له فمثل بين يديه وتادب غاية
الادب فترحب به العوري وساله عن
السلطان سليم فقال له القاضي هو ولدك
وتحت نظرك فقال له العوري لولا انه
مثل ولدي ما جيت من مصر الى وجيت باهل
العلم حتى يصلح بينه وبين اسمعيل شاه
ثم اجزل عطاه واصرفه ثم امر العوري
بالخروج الى الحرب فخرج جميع العسكر

واوذوا جميع امرا لهم عند اهل حلب
بعد ما اذوهم الابيزا البليغ فلما خرجوا
من عندهم دعي عليهم الكبير والصغير
والغني والفقير لما حصل لهم من ضررهم
فلما استقر الغوري امر بارسال قاصد الى
سليم شاه فشاور اكابر دولته فاقتضى
رايهم ان يرسل رجلا من اهل الدين والعلم
ليتكلم بينهم بالمعروف رجا ليحقن دما
المسلمين فلم يفعل وامر باحضار الامير
مغلباي دوادار سكين وكان رجلا
مستقلا فاضلا على رد الاجوبة في
اقامة الحجة فقال له الغوري جهز نفسك
واخرج الكشف لنا خبر اهل الروم وما هم
عليه واعط هذه المكاتبة الى ملكهم
ثم امر عشرة من خيار العسكر بالتوجه
مع

مع مغلباي الى عسكر سليم وهم ملبسين
اللبوس الفاخره وكل من راهم يتعجب
في خلقتهم وحسن خيلهم وهندامهم وهم
كالعرايس صف واحد فلما مثلوا بين يدي
سليم من غير اطاله نظر اليهم سليم مليا وامتلى
من الغيظ ثم قال للامير مغلباي يا مغلباي
استاذك ما كان عنده من اهل العلم احد
يرسله لنا وانما ارسلك بهذه العشره
لترهب بها قلوب عسكري وتخوفهم برويه
اجناده ولكن انا اكيده بمكيده اعظم
من مكيدته ثم امر برمي رقاب جماعه
مغلباي وهو يغتاظ من صميم قلبه فارتجفت
قلوب الحاضرين لذلك فقام الوزير يونس
باشا وقبل الارض بين يديه وقال
الرسول لا يقتل وليس له ذنب فقال لابد

من ذلك فقال الوزير فان كان ذلا بد
فابعث علي كبيرهم مغلباي فامر بحبسه
وقتل العشرة وحبسه بقلعة رملطوا ثم
ثم احضره وحلق دقنه والبسه طرطورا
وركبه حمارا اعرجا معقورا وقال له
قول لاستادك يجتهد جهده فلم يقرا سليم
مكاتبة الغوري لشره عنظه لما راى
مغلباي والعشرة ملبسين بالحديد الما
نع فهم بفراسته انه ما ارسل هولا يخوف
عسكره من شدة باسهم وفراستهم فلما
رجع مغلباي للغوري علي هذه الصفه
عز عليهم ذلك وقامت نفوسهم علي قتال
السلطان سليم بعد ما كانوا طنوا الا
انهم جاوا للصلح بين اسمعيل شاه وسليم
ثم ان الغوري امر كرتباي الوالي بان

يكشف

بكشف خبر سليم وعسكره ويرجع على الفور
ليمشي عليه ويبادره بالحرب فلما وصل
كرتباي الي قيسارية وجد اهلها قد قفلوا ابوابها
وتاهبوا القتال عسكر مصر فلما بلغهم ما
فعلوا في حلب واهلها من اخراجهم من
اماكنهم ونهب اموالهم وغصب نسايهم
وبناتهم ثم وجدوا ابو بسر نايب عنتاب
عزل حريمه واموالة وهو معول على الرحيل
الي السلطان سليم وقد انقلب على ابتنا
جنسه ومال الي الروم فرجع كرتباي
الي الوالي واخبره الخبر بان قيسارية وعنتاب
عصوا علينا واراودوا قتالنا ومالوا
مع سليم شاه وجانا الخبر بان طلايع
عسكره قد اقبلت فلما تحققنا ذلك عطفنا
راجعين فانزعج عسكر مصر لذلك ووقع

بينهم الخلف فعند ذلك انتبه الغوري من
ساعته والامرا والاعيان وتحالفوا علي
ان لا احدا منهم يخون صاحبه ويكونون
علي قلب رجل واحد ويقا تلوا عدوهم
بعد ان كان العسكر ما يظن الا الصلح
بين اسمعيل شاه وسليم شاه واما يونس
نايب عنتاب قدم علي نخله مع كرتباي
الوالي وقال في نفسه ربما تكون النصره
لهم فلا امن علي نفسي ولكن احصل لي معهم
وجه وركب من ساعته الي ان مثل
بين يدي الغوري وزعم ان السلطان
سليم شاه قبض عليه وانه هرب وجا
الي مولانا السلطان مساعدا له علي عدوه
فلم تنطلي حيلته علي السلطان فرام توسيطه
في الوقت فوسط والامرا والاعيان
كلهم

كلهم مجتمعين فقام من بينهم الامير سيباي
نايب الشام وقبض علي خايربك نايب
حلب وجره من طوقه بين يدي السلطان
الغوري وقال يا مولانا السلطان اذا
اردت ان الله ينصرك علي عدوك فاقتل
هذا الخاين الغادر وكان خايربك بيده
كانه بين يديه الشمع وهو يجره فقام الامير
جان بردي الغزالي وقال يا مولانا السلطان
لا تفتنوا العسكر وتبدوا في قتال بعضكم
بعضا او تذهب اخبار كم الي عدوكم فيزدادوا
طمعا فيكم وتضعف شوكتكم والراي لكم
وتاخر من مكانه وكانت هذه مكيدة من
الغزالي والا كان خايربك قد هلك
ولكن اذا اراد الله بامر بلغه والحيث
مناله قاتل فامرهم السلطان بان يخالفوا

ثانيا وان لا يخون منهم احد والخاين يخونه
الله وعليه لعنة الله ثم امر السلطان
ان ينادي في حلب برحيل العسكر منها الي
قتال ابن عثمان وان يكون كل واحد
ويستوفي لنفسه وكان ذلك في يوم
الجمعه من رجب سنة اثنين وعشرين وتسعماية
قال الراوي وكان له موكب حتي رجت الارض
ويلبس الحرير كالعيان وكانت الجلبان ثلاثة
عشر الف مملوك كلهم شرات الغوري
فلا واحد منهم الا يعرف ساير انواع الحرب
والفروسيه فانه كان مشهورا في تعليم
الجلبان وكان قصده ان ينشي له عسكرا
من مماليكه مشترا وانه وصل يقطع القرانصه
وهم مماليك الملوك الذين قبله
وكان يحب حياتهم خوفا من ان يمكروا
به

15

به كما فعلوا عن كان قتله وكان واحد
احذره ولكن الحذر لا يمنع القدر والقاعده
المشهوره كل من طلبه اكله فاتوا كلة
وكان معه الاربعه الائمه من المذاهب
وخليفة سيدي عبد القادر وخليفه سيدي
ابراهيم الدسوقي وخليفة احمد البدوي
وكان معه المؤذنين الدوادار فالوعاظ
وكان له نظام عظام فانخرم ذلك النظام
وانتكست تلك الاعلام فلما التقى الا علام
كان في اول الجيش امير كبير وهو سودون
العجم وار كان امير سلاخ وتخشباي امير
مجلس وكان امير اخور كبير سيدي محمد بن
السلطان الغزري اقام في حلب سامر
والده وكذلك دوادار جانم الاشرفي
وممن كان في مقدمة العسكر سودون

راس نوبة النوب وانس باي حاجب الحجاب
وقانصوه بن سلطان جركس وكان من الاربطات
وتمر الزردكاش وجان بلاط امير اسوا
ترسين وتاني بك الخازندار وازبك المكحل
وتبيرك بن عم السلطان ثم باتوا تلك
الليله على خير حرب ولكن لم يهني لاحد
نوما خوفا من مكر بعضهم لبعض وكان
ابتدا الحرب في يوم الاحد المبارك ثالث
عشرين رجب سنة واثنين وعشرين وثمانيه
وكان اول من بادر بالحرب والقتال
من طايفة الجراكسه كان اصلان بن بداق
نايب حمص اخذ ترطاريته بيده واطلق
عنان جواده وصار يطعن في الفرسان
يمينا وشمالا حتى مدد القتلا على الرمال
واجرى الدما على تلك الاراضي فنال

فلما

16

فلما راوا الامرا ما فعله اصلان بن براق
في حملته اخذتهم الحميه فحمل الامير سيباي نايب
الشام ثم حمل امير كبير سودون العجمي ومماليكه
خلفه نحو الف ملبس ثم حمل الامير خان بلاط
ابو ترسين ثم الامير علان دوادار ثاني
ثم حمل الامير قانصوه بن سلطان جركس
حملة ترعد الاحشا منها وضرب ضربات
تقصر الهمات عنها ثم حمل كرتباي الوالي
وكان فارس الخيل نادا الموت الذوام فديه
ذره من شجاع فرسه عصى يلقي المنايا دالحمات
الثقال بصدره ثم حمل الامير تنم الزردكاش
وتخشباي امير كبير بحلب والامير ازدباي
حاجب الحجاب والامير قانصوه كرت والامير
تاني بك الخازندار والاتابي بك التجمي
والامير بيبرس بن عم السلطان الغوري

والامير قانصوه الفاجر والامير قانصوه
ابو سنه والامير خايربك المعمار والامير
جان بردي نايب الشام وتنبردي الغزالي
وخايربك نايب حلب وكلاهما كانوا رؤسا
المبغضين للغوري والامير غراز نايب
طرابلس وحملوا بجملتهم وصادموا الروم
صدمة واي صدمة ومالوا عليهم في
القتال ولاقوهم الروم حملات كالاسد
الدخال وبرزت الانكشارية بقلوب
لا يخطر لها الموت على بال ولولا الرماه
من الانكشارية ما ثبتت من خيالة
الروم احد لانهم ليس لهم معرفه في الفروسيه
كالجراكسه ولا ترتيب من قريب وعسكروا
العساكر بعضهما مكراً وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال في المواطن ووقعة
اخربت

17

اخربت الديار و رملت النسوان وتيمت الاطفال قال الشيخ احمد ابن زنبل المحلي ولم ترى التواريخ القديمه والحديثه وقعة مثل هذه الوقعة وكذا اجتمع فيها مثل هذان العسكران والبرعد ادعود تاله ولم يقاتل في هذا اليوم من الجراكسه اكثر من الفين فارس وهم الامرا الذين قدمنا ذكرهم واتباعهم واما جلبانهم واتباعهم وهم جلبان السلطان الذين هم مشترواته لم يتحركوا من مواضعهم ولا هزوا رمحا ولا جردوا سيفا وسبب ذلك ان الله سبحانه وتعالى لما اراد ازالة دولتهم اوقع في قلوبهم الخلف بقضيه وحكم قضيه وعلى ما قيل ان السلطان الغوري امر بان اول من يخرج للحرب القرانصه لكون انهم اعرف بالحرب من الجلبان وكان

وقصده ان تنقطع القرارضه ليكتفي شرهم
ويصفوا له الوقت فانه كان يحسب حسابهم
خوفا من مكرهم فامر بتقديمهم للحرب ولخر
جلبا انه يعلموا امكره لما اراده وافقا هو
وجلبا انه لم احدا منهم يتحرك من موضعه
تتغيرت نياتهم وقالوا نحن نقاتل بانفسنا علي
الناس وانت واقف تنظر الينا بالعين الشامته
ما نامر احدا من تماليكك يخرج للميدان
فكان العسكر كله يختلف في بعضه متشود
التيه ليس لهم رايا يرجعون اليه ولا تدبيرا
يعولون عليه بل كل من تكلم بكلام يقول
الاخر بضده فمن تمره ذلك انخرم نظامهم
واما الامرا الذين تقدم ذكرهم يحنو
الا لعنهم ومن يلوذ بهم اعتمدوا على الله
تعالى في حملاتهم واصطفوا في كل فعل نياتهم

18

ثم وصدمهم الروم بصدمات وعزمات
فائقه وقلوب متوافقه فلم يثبت الروم من
بين ايديهم الا ساعه واحده من الزمان
ورموا فيها بالمدافع والنحل والبندقيات
حتى صار النهار كالليل الحالك من كثرة
الدخان والغبار من حوافر الخيل الا انهم يقاتلون
على قلب رجل واحد ونيات متفقه ليس احد منهم
في قلبه غل ولا نكر لاحد وهذا احق لمن يكون
يريد النصر ولقد اجاد القائل واذا اراد الله
بقوم خيرا وفق كلمتهم والف بينهم ومن العجب
ما يكون من الشجعان هذا العربي من الالفين
فارس المقدم ذكرهم من الجراكسه يقاتلون
قتال الموت في نحو مائة وخمسين الف من الروم
والترك ما بين الوف مشاة ومثلهم ابطاله
خياله من عسكر الروم ثم حطوا عليهم حطه

واحد، ان الوهم عن موكبهم وعملوا في ظهورهم
كما تعمل النار في الحطب فلما انكسر السلطان
سليم وولى عسكره هاربين ودخل عساكر الجراكسة
الى وطاقه فنهبوا وغنموا واخذوا الزردخانة
جميعًا وجاوابها الى الغزري فامر بتسليمها
لتتم الزرد كاشي فتبادروا الذين كانوا
تاخروا عن القتال حتى كادوا ان يفتتنوا
ونهبوا وغنموا فغارت الامرا الذين كانوا
يقاتلون وقالوا نحن نقاتل وانتم تنهبوا
حتى كادوا ان يفتتنوا واطلقوا من وطاق
السلطان سليم النار وقالوا لا النار لالكم
لا وعسكر الروم ردة عليهم كالبحر
اذا سال بعرض الوادي وسبب ردهم الى الحرب
ان الاكثارية قالوا نحن مشاة فان هربنا
لحقتنا الخيل اهلكتنا واولى ان نرجع الى القتال
امتا

19

خوفق

امتا بنا افي بهم ورحبنا لوا على بعضهم بالرجعه
وتركوا الهروب فسمع السلطان اصواتهم لينظر
ما يكون واذا بالانكشارية احاطوا به ومسكوا
بعنان جواده وقالوا له عن لسان واحد
اين تذهب حيث بنا تسلمنا للموت وتنجوا انت
بنفسك قف واثبت امّا نغلب او نغلب فوضعوا
بجملتهم رجعة رجّت لها الارض ومن الاتفاق
العجيبات في رجوع السلطان سليم بالانكشارية
في خروج الجراكسه من وطاقه بعد ما حرقوه
ونهبوه وضاربت ظهورهم من جهة المرّوم
فملا عليهم صراخهم ورموا بالنار اذ منامته اذ ما
فسمع المنهزمين من عسكر الروم فعلموا ان
اصحابهم قد ردّت وافترح الجمع وكانت الكره
علي الجراكس فرجع خيربك والغزالي معا المنهزم
من الجراكسه حتي دخلوا وطاق الغوري ونادى

باعلا صوته الفزار الفزار فان السلطان
الغوري قد قتل وكانت الكرة علينا وصدقوه
وظنوا ان ذلك حقا وانما هو مكيدة وبغضا
للغوري وانشاطا للباحاب فتبعه غالب
الجلبان وتبعهم غالب العسكر كما قال خاير بك
فكروا امرا ان السلطان الغوري واقف مكانه
وصوله بعض الجلبان العربيين منه واما
البعاد عنه ظنوا انه قتل فانتم موامع خاير بك
قاصدين حلب فلما علم الغوري بما جري لعسكره
من التشتيت صار ينادي عليهم باعلا صوته
يا اغاوات الشجاعه صبر ساعه فلم يلتفت احد
اليه منهم وكان امر الله قدرا مقدورا فعل
ذلك بعضا منهم لسلطانهم فانه كان يريد
ان يقطع العز الضعه سانتي ثم يستغل هو
بجلبانه ويصفي له الوقت فقالت اهل

المعرفه

المعرفه من طلبوا كلهم فانه كله ولا نعانده
نغلب لو انك السلطان فتقدم الامير سودون
العجمي امير كبير وقال يا مولانا السلطان
اين حلبانك اين حاصلتك هكذا عملت بنا
ولا زلت قايم في حظ نفسك حتى اهلكت نفسك
واهلكتنا معك ولكن القيامه تجمع بيننا وبينك
ونقف بين يدي الله تعالى بالعدل فلا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم التفت عن عنه محمد الامير سيباي
والامير اقبياي الطويل والامير علان
والامير اصلان بن براق ومن يشبه هولا
من الغرايضه وهم وافقين متحيرين فان
جيشهم انكسر قهرا من غير كسر فقال لهم
سودون العجمي ما في يدي منكم قالوا كان
خير قال الحمله فحملوا ولكن اين يذهبون

وما عسى ان تقاتل مائة نفس في مائة
الف وثمانين الف ولكنهم مع قلتهم اوقفوا
هذا الجيش العظيم فلم قدر احد منهم يتقدم
ثم عس هذه الطايفة القليله من الضرب
والقتال ولكن الكثره غلبت الشجاعه
وما زال العزري واقف حتى بقي وحده
وخلفه حامل الصنجق امير اللوا وكان
رجلا كبير السن من تماثيل ابنال الاحرو
فمن شده ما حصل للعزري من القهر
فانه كر وفر الا عجز فلما راي هذه الاحوال
وقع على الارض مغشيا عليه فلما وقع على
الارض رمي حامل الصنجق الرمح واخذ
القماش المطرز وكان يساوي ثلاثة الاف
ذهب فقال الامير علان لاقباي الطويل
ماترى في امر السلطان فقال له قل ما عندك

قال

21

قال ان نحن تركناه فلصا وخليناه فيأتي
العدو فيقتلوه ويأخذوا راسه يطوفوا
به جميع بلاد الروم قال فما الراي قال الراي
ان تقطع راسه وترمي في هذا الجب والجثة
بلا راس لا يعرفها احد قال نعم الراي فامر
الامير علان عبدا من عبيده فقطع راس
العزري ورمى بها في جب هناك وقيل
ان الامير لما ارسل العبد وامره تقطع
راس العزري فذهب العبد يلتقي ناس كثير
مطرحين فقطع راس واحد منهم فارماها
العبد في الجب المذكور واختلفت الاقوال
في قتله فقيل انه هو وقيل انه غيره
قال الراوي رحمة الله عليه
ثم ولى الامير علان الى ناحية حلب
واما اقباي الطويل طلب ناحية العجم

واقام بها الى ان مات واما الامرا الذين
التهوا بالقتال مع الروم فانهم فاض عليهم
بحر المنايا وزادوا وبليوا بها كرملات السهل
والواده اسع عليهم ذلك الجمع الكبير وخاضت
خيلهم في بطون القتلي فقاتلوا قتال من قطع
من الدنيا اياسه وقصده وهم الرماه بالبندق
ولولا البندق ما قدروا عليهم فوقع الامير
سيباي والامير سودون العجمي واما الامير
قانصوه ابن سلطان جركس فانه لا زال
يضرب بالسيف حتى خرق عسكر الروم وطلع
من ذلك الجانب على حميه فلما خاض سشم
الهوى وردت اليه روحه بعدان كان ايس
من الحياه والفضيحه لرجل خرج من بين
الوف ولكن اذا جا امر الله قضي بالحق ولا
راد لله فيما قضي فوقع في الكسر هناك بينت

فيه

22

فيه العرق سوس فالتفت علي قوايم الفرس
الفرس فتعرق وكانت عسكر الروم تنظر اليه
علي بعد ولم يقدر احد يتبعه فلما راوه في
هذه الحالة طمعوا فيه واحاطوا به فقبضوه
وعرفوه من اللبس وقطعوه بسيوفهم واما باقي
الامرا فان غالبهم غيب في البلاد وغالبهم
قتل وانهزمت تلك الجيوش فتمكن عسكر السلطان
سليم من وطاق الغوري واخذوا كلما فيه
وكان شيئا فوق الوصف من الذهب والفضه
قناطير مقنطره ومن البرق واللبوس والتحف
التي جمعتها الملوك السالفه ذهبت كلها
ونهبت في يوم واحد وذلك بالنسبه لما
المنا السلطان في قلعة حلب وما
اودعته الامرا والاجناد عند اهل حلب
لا ينحصر ومما نقل ان السلطان الغوري

لما خرج لملاقات البغا منه اخذ معه مايه
قنطار ذهب وثلثايه ومايتين قنطار فضه
انضاف وكان قصده ان يحمل ذلك نفقة
على العساكر وبنوي انه لايزال ذاهب الى
البستان بولي ويا خذها من يد السلطان
سليم وسبب ذلك انه كان ارسل للسلطان
سليم كتاب على سبيل النصيحه وغالبه تهديد
كالتهم في الترسم ومن جملة ذلك انه قال
له اذا لم ترجع عن ما انت فيه من الظلم والتعدي
عن المسلمين والا اجيبك بعسكر من بلاد
الروم واخرب قصرك عليك فكان هذا الكلام
من جملة السبب المحرك للغوري على خروجه
للمحاربه بنفسه وارسل في الجواب انا لا احوجك
الى المجي الينا ولكن تاهب للقا الابطال

وتنتظر

23

وتنظر الرجال ليف تفعل صدق في قوله
لكنه احجم قلوب عسكره واهلك غالب الامرا
القرانصه فكرهته العساكر كلها وخرجوا
معه وكل يتمني له ان لا يرجع الى مصر
وكان هذا من سو بخته وكل ذلك
حتى يجري القضا والقدر قال الراوي
وبات السلطان سليم في مرج دابق ثم
اصبح وامران يعدوا القتلي من الفريقين
فوجدوا قتل من الجراكسه خمسمايه نفر والترك
بالبندق وقتل من عسكر الروم خمسة الاف
ثم وجدوا في القتلا رجلا عظيما من الجراكسه
وعليه من اللبوس الفاخره وما يناسب الملوك
وعليه من الذهب والدفار ووجهه يتلالا
نورا وقد جاته رزيه انه احذت فخذه
فجي ببعض من يعرف الجراكسه فوجده سودون

العجمي امير كبير فامر السلطان بتغسيله وتكفينه
وصلي عليه وامر بدفنه فكان ترابه في زاويه
هناك تسمي زاويه الشيخ ابو النور الساري
قال الراوي واما ما كان من عسكر
الجراكسه فانه لما وقعت عليهم الكسره
نهب بعضهم بعضا وصار كل انسان ياخذ
مهما قدر عليه وكل من كان له عدو وقدر
علي قتله قتله ولكل شي افه من جنسه
وانظروا الي قوله تعالي ولا تنازعوا
فتفشلوا الايه وقال تعالي واذا اردنا
ان نهلك قريه الايه وقوله تعالي واذا
اراد الله بقوم سوا فلا مرد له الايه
ثم ذهب غالب العسكر قاصدين
الي حلب فمنعهم اهل حلب ومنعوهم
من الدخول الي حلب لكثره ما قاسوا

منهم

24

منهم حين مجيهم الى حلب مع السلطان
فتشتت شملهم وذهبت حميتهم وانكسرت
سورتهم بعد تلك القوه والمنعه العظيمه
والباس الشديد وهو مصداق قوله
ولا تنازعوا فتفشلوا الايه وكان سبب
سعاده اهل حلب من هذه الوقعه فانهم
اودعوا عندهم الجراكسه جميع اموالهم
وخرجوا على جرايد الخيل فطمعت فيهم
اهل حلب وصدوهم عن دخول حلب
واما خاير بك فانه دخل حلب واخبر
سيدي محمد ابن الغوري بما كان القاه
ابوه على خزانته واموا له بقلعه حلب
فاخبروه بان ابن سوار شاه نازل على
حلب بعشرين الف فارس وهو قاصد
اخذ حلب فقال له سيدي محمد ما الراي

يا امير خايربك قال الراي ان تنادي في
العسكر بالرحيل الى مصر وتجمع اليك ما
تشتت من العسكر وتكون ملكهم موضع ابيك
وانا اساعدك في ذلك وصدقه في مقالته
ونادي في حلب بالرحيل الى مصر ومن له
رغبة في المسير الى مصر فليتبع ابن السلطان
فخرجت الناس على وجوههم وتركوا اثقالهم
واموالهم واختاروا سلامة الروح وخرجوا
كالهاربين وما كان ذلك مكيدة من خيربك
حتى ياخذ حلب للسلطان سليم من غير حرب
وكان لذلك فانه ارسل للسلطان سليم
يخبره بما يفعل وانك ترجع في هذا الوقت
الى حلب فانها خالية من العسكر المصري
واما عسكر حلب فمن اطاعنا ابقيناه
فجا السلطان سليم ودخل حلب من غير حرب

واطاعته

25

واطاعته الرعايا والعساكر جملتها واخذ
الاموال التي وجدها ونهب العالب
وتلاشا امر ابن الغوري وما دخل في
مصر الا في اسوا الاحوال واذا اراد
الله بامر بلغه فلما خرج بن الغوري
من حلب وقصد دمشق الشام فخرجت عليهم
العربان ونهبوا من اثقالهم ما قدروا عليه
ولولا ان الامير ابرك راس الجلبان
والامير قنبردي الغزالي والا كانوا الجميع
العسكر فان العسكر ماتت قلوبهم والقي الله
تعالى في قلوبهم الرعب فما دخلوا في دمشق
الا في اسوا الاحوال فضاقت بهم دمشق
وغلت الاسعار واقاموا بها ثمانية
عشر يوما واراد الامير قنبردي
الغزالي ان يتسلطن فقال

منا

الامير ابرك اولى تكون السلطنه الا لابن

السلطان فاجابته الجلبان جملة واحده

وبعض من القرانصه فلما سمع الامير قنبردي

الغزالي ايس من السلطنه فشرع في الملاطفات

وفي تعكيس امرهم وكلما دبّروا امرًا يحصل

منه المحصلة لهم ليس يحطهم فيه فقام

الامير علان وقال تحت السلطنه بمصر

امر بالشام قالوا بمصر قال فاذهبوا

الى مصر واجتمعوا من بها من الامرا

واتفقوا على انّا من تختاروه سلطنوه

فان السلطنه لا تصلح الا لاشجعنا

واعقلنا خصوصًا نحن في اضيق الاحوال

وعدونا في طلبنا كيف نسلط علينا

ولدًا صغيرًا وان كان هو ابن السلطان

ليس فيه كفاة للسلطنه على هذا الوجه

فاستصرنوا

فاستصوبوا رايه وما قصده الا ان تكون
السلطنة له فانه كان من الفرسان
المشهوره وكل انسان ما يريد
الحظ الا لنفسه فاقتضى رايهم بالتوجه
الي مصر وابن الغوري وابن الغوري
معهم كاحد الناس لا يلتفتون اليه واما
الفرا ارضه الروس كل منهم يتمنى ان يكون
هو السلطان ولكن ما يكون الا ما يريد
مولانا سبحانه وتعالى فلما خرج العسكر
من الشام قاصدين مصر قالوا للغزالي
من يحفظ الشام قال الامير ناصر الدين
بن حنش فارسل خلفه فلما حضر خلع
عليه خلعة تليق بمقامه فانه كان من
الاعيان شيوخ العربان ببلاد البقاع
وقال له البلاد بلادك نسلم حفظها

حتى ننظر الامر كيف يكون ثم ذهب
الامير قنبردي الغزالي مع العسكر الى
مصر وهو كامن لهم الغدر الذى لم يسلطنوه
وصمم على معاكستهم ومال بقلبه الى راي
خاير بك في تحريص السلطان سليم
الى اخذ مصر فانه كان قصده الرجوع
من حلب وما طمعه في اخذ مصر الا خاير بك
والغزالي فلازالوا سايرين الى ان دخلوا
مصر ليلا وهم في اسوا الاحوال فنزل
قنبردي الغزالي في بيت افنردي وابن
العزري في بيت ابوه الذي بناه له في
البندقانيين وهو الذي هدمه الحمزادي
وصار خان وبقيت البيت باقيه الى الان
وهي القاعه العظيمه وما حواها من ناحيه
باب ستر العوربه فسبحان من يغير ولا يتغير
وكان

97

وكان الامير اسن باي حاجب الحجاب
في راس حدرة البقر عن يمينك وانت متوجه
الي الصليبه هو يعرف الان ببيت حمزه
الذي مات في اليمن الان عثمان بيك
وتم الزردكاش في البيت الذي باينه
وبيت الامير ماني بك البحمي في حدرة
الصليبه عن يسارك وانت قاصد باب
زويله وبيت قانصو الفاجر الاشفل
عنه من ناحية باب زويله الذي فيه
الان كان ساكن فيه قايل ناظر الدشيشه
وبيت يحيباي نحاه وبيت ابوك راس الجلبان
في الصليبه من ناحية الكبش وبيت طومان
باي دوادار كبير علي بركة الفيل
وبيت الامير علان علي بركة الناصريه
بجوار مدرسة امير اخور وبيت الامير

قانصو كرت بالقرب من قناطر السباع
وانت قاصد مصر العتيقة بجوار مدرسة
لاجين وبيت ابن سلطان جركس بقرب
سيدي عماد الدين وبيت تقطباي نايب
حمام بقرب بشبك التاجي راس سويقة
العزي من داخل الدرب القلعة وبيت
اركماس امير مجلس في بيت يزبك وثاني
بك الخازندار في بيت الامير ماماي
وسودون البرقدار في بيت جان بلاط
بالقرب من الخرنفش مقابل مدرسة الباسطيه
وبيت قانصو ابو اسنه في راس سويقة العزي
من ظاهر الدرب وبيت خوشتر جلدي
في الصبات بجوار سويقة البقلي
واقباي الطويل في بيت تراسه وبيت
الامير قانصوه دحل في الرميله وبيت
جان

في بيت قاضي العسكر

28

جان بلاط ابو ترسين فى سويقة صفيه
دبيت لم يتنبه الوالي في راس سويقه
العزى وانت قاصد باب زويله وبازايه
بيت قضا بردي وكانت مصر لهذه الامرا
كالعروس المجليه وكل امير من هولا كالملك
المنفرد بنفسه وكل من في حارته عايش
في رزقه فسبحان من لا يحول ولا يزول
ولا تراه العيون وبيت قادصوه اسقل
بباب الخرق بالجدره وانت قاصد سويقه
صفيه وهو مشهور الى الان وكان يامر
الناس بان يصقل جلد الحصان
حتى يصير يلمع كالمصقول من الثياب
فلهذا سمى اصقل وكان بيت الامير الكبير
سودون العجمي في راس سويقه التاعني
على يسار القاصد للسويقه المذكوره

من رحمه الله ملك الارواح في ذلك الزمن
ونرجع الي اجتماع العسكر بالعسكر المقيم
وحكوا ما وقع لهم وكيف كسروا واحتقروا
باختلافهم في بعضهم وملاقاتهم
على سلطانهم وخذلانهم انفسهم وكل ذلك
ثمرة الغبار كما قال القايل لا تقاتلوا تغلب
لزوال السلطان ثم اجتمع الامرا والاعيان
في ثاني يوم بقلعة الجبل فاقتضى راي
الجميع بسلطنة طومان باي وبايعوه
على السلطنة في يوم الاخيره من رمضان
سنة اثنين وعشرين وتسعمايه وكانت
سلطنة الغوري تسعة سنين وتسعمايه
وكان رحمه الله غليظ الجثه كبير البطن
متوسط الطول كبير اللحيه والوجه ورزق
من الاولاد الذكور ثلاثة اولاد ولم

يعيش

فايده

29

يعيش منهم سوى سيدي محمد وقد اخبر
ولده هذا عن والده العزري انه عاش
من العمر ستة وسبعين سنة وقيل ستة وثمانون
سنة فلما ان تابع طومان باي على
السلطنة اراد ان يقبض على سيدي محمد
بن العزري ما معه من المال فقال الامير
ابوان راس الجلبان وقام معه ما بقي من
الجلبان وقال لا سبيل الى اذى ابن استادنا
بوجه من الوجوه حتى تذهب ارواحنا
يهلك استاذنا بينكم فتغلب مصرا وتريدوا
يهلكوا ولده الاخر فلا كان ذلك الا ان
هلكنا اجمعين فقالت القرانصه
وكان المتكلم منهم الامير علان والامير
كرتبيه الوالي فانهم كانوا عرض طومان
باي لما يعلموا من دينه وعفته وصلاحه

وشجاعته وفروسيته ولبس الخبر كالعيان
فقالوا الجلبان مهما حصل لابن استاذكم
في عرضنا وفي ذمتنا واما انكم تعلموا
ان طومان باي رجل صوفي وليس معه
ما يقوم بنظام السلطنه وقصدنا
ناخذ من ابن استاذكم قدرجمسين
ستين الف دينار يدفعها لطومان
باي ليستعين بها على لقا العدو القادم
علينا واما ابن استاذكم ولد صغير
وليس فيه كفاءة لذلك فاتخيلوا
الجلبان ذلك الكلام وحلوا عن
ما كانوا عزموا عليه من القيام
على طومان باي هذا ما كان من امر
طومان باي واما ما كان من امر
السلطان سليم اقام بحلب نحو العشرين

يوم

30

يوم وكان مع الغوري خلفا المشايخ
مثل سيدي احمد وسيدي عبد القادر
الجيلاني وسيدي ابراهيم الدسوقي
وامثالهم فلما وقعت الكسرة على الغوري
بقيت المشايخ المذكورين بحلب فلما
سمعوا بان السلطان سليم قادم على
حلب خافوا من سطوته فاخذوا في
الذهاب الى نحو الشام فلما راهم على بعد
ومعهم الرايات والاعلام قال ما هولا
قال هولا خلفا المشايخ كانوا جاوا
مع الغوري فلما انكسر يريدون الذهاب
الي مصر فامر باحضارهم فلما مثلوا
بين يديه امر بضرب رقابهم اجمعين وكانوا
يكونون على الف ختم الله لهم بالشهادة ثم
امر بالتوجه الي الشام وكان السيرلة

على ذلك خاير بك فلما قدم على الشام
امر باحضار على باي نايب القلعه
فشنقه وشنق غالب جماعته وكان
السلطان سليم لدا قدام على قتل الشنى
لايكلم بي قتل احدا من بك يفصل
بينهم يوم القيمه فيما كانوا فيه يختلفون
ولو شا ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
وكان الامير خاير بك والامير ناصر
الدين بن حسن شيخ بلاد الدوارهم
الساعدين للسلطان سليم على مراده
لمصير لهم عنده يد ويصير لهم مرتبه
على ساير اهل البلاد ومن كان له
عنده غرض بيقوا عليه واما العمده
فبهذه الوسيله ملك السلطان سليم
حلب والشام وساير الحصون والقلاع
التي

91

التي بتلك الارض من غير فان جميع العساكر
منها من قتل ومنها من هرب الى بلاد اخري
ومنهم من ذهب الى مع من بقي من العسكر
فاخذها من غير قتال ثم قوي عزمه الى المجي
الى ارض مصر فانه كان قصده الرجوع
الى بلاده بعد اخذ حلب كما فعل تيمرلنك
تمورلنك خزاه الله فانه كان اخذ حلب وبر
الشام بجملته واخرب الشام وحلب بيد واحده
واخرب البلاد واسر العباد واهتك
حرمات الله فاخذه الله اخذة رابيه
وكان قصده اخذ مصر من يد سلطانها
اذ ذاك الناصر فرج بن برقوق فخشي ان
يتحولن بيد الله على عقبه وكذلك السلطان
سليم لما اخذ بر الشام وحلب وقصد
الرجوع الى بلاده فاغواه خاير بك

وكان

وقنبردي الغزالي وناصر الدين بن الخليشي
والمتوجه الى مصر وضمن له خيربك اخذ
مصر وذلك مكرا منه فانه علم ان رجع
السلطان سليم الى بلاده فلم تبقي الجراكسه على
خايربك ولو ذهب في تخوم الارض ومهما
كان ساعه الا انه التزم للسلطان سليم
باخذ مصر وان شا السلطان فقال له
ائذن لي في ملك مصر وجميع العسكر اجتمعوا
بها وقد اخذوا اهبتهم وسلطنوا عليهم
طومان باي وهو مشهورا عندهم بالشجاعه
والفروسيه ولابد لهم من امر تدبروه
وحتى التجوين في بلادهم وبعد المسافه
بيننا وبين بلادنا فقال له خايربك
ان العساكر الذين رجعوا من بعد الكسرة
قد انقطعت قلوبهم لاسيما والخليفه

بينهم

32

بينهم قايم فانهم جميعهم مختلفين وكل من
الامرا الاعيان وقصده هلاك الاخر وحيث
كان كذلك لا تخشي من شي وانت ستنصر بنصر الله
لك وقوي قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب
لكم وطابت نفس السلطان سليم الى اخذ الملك
ولو فني بعض عسكره ثم امر بكتابة مرسوم
الى السلطان طومان باي ملخصه باني لا
اريد الا ان تكون السكه والخطبة باسمي
وانت نايب عني وابقيك على ما انت عليه
منها وصل المرسوم الى طومان باي فقراه
وفهم معناه وطابت نفسه على ذلك لكون
ان فيه حقن دما المسلمين فقدر الله تعالى
ان الامير علان طالع الى الديوان واذن
وقد لاحت منه التفاته فرأى بولاقية السلطان
سليم واقفين تحت الديوان والمسلمين

ينظرون اليهم وقد اتبع الخبر ان السلطان
سليم ارسل يطلبه ان السكه والخطبة باسمه تكون
فلما راهم الامير علان ما تمالك نفسه الا ان
جذب سيفه وضرب اعناق البرلامنيه وكانوا
ثلاثه انفار وطلع الى السلطان طومان باي
وهو مملوا من الغيظ وقال له اصحيح ما قيل
قال نعم قال فما الذي عولت عليه اوافقه
على ما اراد واكون بي حقن دما المسلمين
ويبقى كل احد في وطنه فاني علمت من كلامه
اذا لم اجيبه والا فهو قادم علينا لا محال
وعلمنا ان العسكر كلهم متخالفين وليس
منهم احد مع احد وما اظن ان الله تعالى
اراد بزوال الملك جركس من هذه الديار
فما رايك انت نقاتل عن حريمنا وبلادنا
واولادنا او نقتل عن اخرنا قال ولكم

صبر

صبر على القتال قال هذا اسهل ما يكون
فاني قاتلتهم في مرج دابق وعرفت قتالهم
فان ليس عندهم معرفة بالفروسيه ولا
ركوب الخيل وانما غايته ما عندهم الرماة
بالبندق وهم مشاه فنحن اذا اضايقناهم
ندوس عليهم دكة واحده نهلكهم تحت ارجل
الخيل ونعلم ان الله تعالى يمكننا من سلطانهم
فناخذه اسيرا او نخليه مثله الى يوم القيمه
فلما راى الامير علان عزم على الحرب
استشار الامرا فمنهم اجاب الامير الى ذلك
واختار الحرب والضرب والطعن ومنهم
من اختار الصلح فقام عليهم الامير علان
والامير كرتبيه الوالي وشنعوا لهم بالكلام
ودموهم فما سعهم الا انهم اتفقوا على الحرب
والدفع عن الحريم والاولاد واما السلطان

سليم فانه لما رجع له الخبر بان يو لاقته قتلوا عصبر فا رسل خلف خاير بك فلما حضر امره بالجلوس فجلس فكان السلطان يحب خاير بك لانه ناسه علي مراده فال السلطان سليم كانت همته عاليه ويحب ان يكون راس الملوك ان راس الملوك من كان خادمًا للحرمين الشريفين فقال السلطان لخيربك ما الراي عندك قال تركب الي مصر تاخذها وتقطع هذه الطايفه الجركسيه من ارض مصر جملة واحده وانا ضامن لك هذا الامر بعنايه الله تعالى فالتفت السلطان ليونس باشا وقال له ما تقول قال اقول ان السلطان اخذ من الفراة الى الشام ويترك لهم مصر اما ان مشينا عليهم

دحونا

في بلادهم مما نامن علي نفوسنا ان حصل
لنا كرة لاسيما وعندهم من العربان ما لا
يحصي والعرب تركن اليهم اكبرمما لانهم
معتادون بهم ومنهم من هو مصاهرهم
ونندم حيث لا ينفعنا الندم فتالم السلطان
الكلام يونس باشا وعضه في قلبه ولكن
اثرها له في نفسه حتي قتله وسياتي ذلك
في موضعه ثم ان السلطان امر بالرحيل
بعد ثلاثة ايام الي ارض مصر واما طومان
باي فانه لما راي الامرا من الجراكسه
معرلين علي الحرب جميعهم وضربوا الشوره
فيمن يكون باش علي العسكر فاتفقوا
علي قنبردي الغزالي وكان في ذلك اول
عسكرهم لكون انه ملاخ عليهم في الباطن
وكان جملة العسكر الذي خرج معه في

هذه التجريده عشرة الاف عسكري وعشرة
مقدمين الوف وثلاثين من امرا الاربعينات
وثلاثين من امرا العشرات ومن الامرا
مقدمين الالوف المذكورين جان بردي
نايب الاسكندريه وقانصوه ابو اسنه
وقانصوه كرت وقطباي نايب القلعه
ومن الامرا الاربعينيات برسباي
الشمس وقرقماس والامير سيد وجان
بردي وقايتباي نايب الكرك ومن
العشرات الامير خوش كلدي وقانصوه
المعدار صحبته والامير جانم دوادار
سيدي محمد بن العزري واخوه جانبك
وقرقماس الشريفي ولم يسافر في هذه
السنه الحاج لان السلطان كان مشغولا
بالحرب ثم خرج العسكر في اول شوال

سنة

35

سنة اثنين وعشرين وتسعمايه فلما وصلوا

الى خان يونس واذا العسكر واذا العسكر

السلطان سليم قد اتى فوقف كل من

العسكرين فارسل كل منهم فارس يكشف

الخبر فلما اجتمع الفارسان تعالى بعضهما

وكل منهما اخبر عن قومه ثم افترقا ورجعا

واخبرا بالامر فلما تحققوا كل من الفريقين

الخبر تهيوا للقتال ورتبوا ترتيب الحرب

وركبت الجراكسه الخيل العربيه وركبوا

بهذا الخيال خلا منهم الانكشاريه برشنت

بندق خلفا للرقوا فدا الاكثر من الركاب

وركبوا الغزالي وجاته الحجمه والجيش في الثقل

فتكاثروا عليه وجدوه بالكلاليب فاخذوه

اسيرا فعصبت له الزعر من الغلمان

وخلصوه من ملبين العدد لحوان قتلوا من

الانكشاريه مقتله عظيمه وخلصوه
وكانت الكره على الجراكسه واما هذا
العسكر من الروم فانه كان فرحات باشا
تقدم على عسكر السلطان سدربريد
وكان المساعد له شيخ العرب المسمى بابن
البريدى على الجراكسه ولا ضرهم الا البندق
فانهم اخذوا الرحال على حين غفله لا يعرف
من اين جاته فقاتل الله اول من اصطنعها
وقاتل من يرمى بها على من يشهد لله بالوحدانيه
ولنبيه بالرساله ورجع السياق
واما السلطان سليم فلا زال سايرا على
الراحه حتى دخل الى قطيه فلم يجد بها
احد من العسكر مطلقا فاقام بها ثلاثه
ايام ثم ورد عليه احمد بن بقر شيخ بني وايل
وكان اولاده عبد الدايم وبيبرس واحد

دخاطر

36

وخاطره كان خاطر اصغرهم فخلع على السلطان
وعلى اولاده وكان صاحب طبلخانه في مصر
واتره على ما هو عليه من بلاده وارزاقه
وكذلك مشايخ العربان ثم ان السلطان سليم
امر باحضار خاير بك وونزايه وقال
ما تقولون في حيله يكون بها تفريق شمل
الجراكسه قالوا له وما هي قال ايتوني
بفلان الكاتب وكان هذا الرجل يكتب
بالسبعة اقلام ويحاكي جميع الخطوط
بمصر فقال له السلطان اريد منك
ان تكتب لنا كتبا تحاكي منها خطوط
مختلفه عن لسان امرا مصر وابن الغوري
الى جانبي ما لهم معي في الباطن ويحرضوني
على المجي ويكونون معي ويساعدون
على قتل طومان باي وعلان وكرتباي

الوالي فكتب الكاتب كتبا على لسان الامرا
المذكورين وربط الكتب واوصلهم رجل
من جماعة خاير بك وامر بالذهاب الى وطاق
طومان باي وان يومي لهم بالقرب من مجلس
السلطان ويقف ينظر ما يقع بينهم من الخلف
ثم يرجع يخبر السلطان سليم ففعل ذلك فقراه
المكاتيب بعض مماليك طومان باي فاخذهم
واوصلهم الى استاذه فاخذهم وقراهم وجمع
الامرا واخبرهم بذلك فانكروا كلهم ذلك
وحلفوا الايمان المغلظة ان هذا لم يصدر
منهم فتحير طومان باي وافترق العسكر
وكادوا ان يقتلوا بعضهم بعضا فقال لهم
طومان باي ربما يكون هذا مكيدة من
الاعادي اكاذونا بها ليفتننا ولكن الله
تعالى يقيا بل كل منا بما يستحقه ولكن

كونوا

37

اونوا على اهلكم لانا عرد كم فلما كان
يوم الثلاث اخر شهر ذي الحجة الحرام جات
الاخبار الى طومان باي بان السلطان
سليم دخل الخانكا فنادي السلطان طومان
طومان باي في عسكره ان كل من جاب راس
رومي له ما يريد من كل شي فصارت
فرسان الجراكسه تشن الغاره على عسكر
سليم و كل من استطرفوه اخذوا راسه
دجابوها الى طومان باي فصار يحرك
بسا ذلك قانصردي الغزالي فلما دخل
الليل جلس في خيمته وكتب كتابا وختمه
وذكر فيه جميع ما فعله طومان باي
وانه اخرج المدافع الكبار التي اوزموها
على الجبل لانا لو وصل جميع الات الحرب
في الريدانيه و قد اثرت عليهم بدفنها

في الرتسل ليلا ينظرها احد من الدولبيس
فيخبر كم وتر مثلوا مني ذلك بعد جهد عظيم
مني فاني خشيت على عسكر السلطان من
ذلك البلا العظيم والصواب ان السلطان
يدور ويأتي من جانب الجبل من مصير ولو
رموا لا يفيد فيهم شي وارسل الكتاب
لخيربك فاوصله للسلطان سليم ففرح
بذلك واجزل عطا القاصد به ورد له
الجواب ورجع في جوف الليل الى سيدي
الغزالي ولكل شي آفة من جنسه ففي
صبيحة ذلك اليوم امر السلطان سليم
بالرحيل الى ملاقات طومان باي
واما الامير علان والامير كرتباي الوالي
انبتنا رقا عن بعضهم وان يحمي بعضهم بعضا
دعلموا ان الغزالي ملاخ عليهم وتحققوا

كما ذكرنا تربص

ذلك

38

ذلك وقصدوا قتله ولكن حسبوا
ان قتلوه يفترق العسكر لانهم توكلوا
على الله تعالى واخلصوا نياتهم واتفقوا
انهم يقصدوا اصحق السلطان سليم
ولا يرجوا الا ان يقتلوه او يقتلوا من دونه
فلما اصبح الصباح فطلعت الشمس اولا
وعسكر السلطان سليم ملتبسين من ناحيته
الجبل كالجراد المنتشر من قدر ظهور عسكر
السلطان طومان باي فارتجوا لما راوا
ذلك وايقن طومان باي بان عسكره ملا خ
عليه وان اساروهم عليهم يدفن المدافع
مكمنين منهم له ولم ير له حيله يحتال بها
ممن ساعده الا التسليم لله تعالى فيما حل به
فلم يرم شيء من تلك المدافع مطلقا الا رجل
واحد فكان اخرها يحتال بها فما شاعه

الا التسليم لله تعالي فرمي الاخرس مرفعا
سمي المجنون رماه وهرب مفتح في عسكر
السلطان سليم زقاق فارتج العسكر الرومي
وظنوا ان خيربك والغزالي مكروا بجهز
فارسل السلطان خلف خيربك وكان
قريبا منه فقال له ما هذا الذي ذكرته
لي وقد اخبرتني ان مدافعهم ردموها
بالرمل فما هذا الحال وراي منه الغضب
فقال خيربك مهلا علي وارسل جاسوسا
يكشف الامر فغاب ورجع مسرعا وقال
رايت المدافع كلها مردومة بالرمل
وانما هذا رجل اخرس لم يردم مدفعه
بالرمل وابقاه مكشوفا وقال انا صاحب
لذلك فرمي به وهرب فاطمان السلطان
سليم فانهم لو رموا عشرة مدافع مثل هذا
ما

39

ما انقوا من الروم احد بدون ذلك اذا
نزل القضا عمي البصر واما السلطان طومان
باي لا يثني من ذلك وانما قصد لصنجق السلطان
سليم هو والامير بن علان ولم يتبعه الا الى
ثلاثة الوا في مشوارهم وهم يطعنون بالقنطاريات
حتى غاصوا في جموع الروم فلله درهم
من فرسان لاقوا هذا الجيش العظيم بنفوسهم
وليس الخبر كالعيان فلا زالوا يفرقوا ويطعنوا
حتى وصلوا لصنجق السلطان سليم فظن
السلطان طومان باي ان الذي تحت
الصنجق هو سليم فقال له يا سليم ادنت
مني عبرشا لم وجد له من على سرجه
بيده اليسرى ورفعه باعلا راسه وخبطه
في الارض خبطة انطبقت اضلاعه بين
جنبيه وضرب الامير علان من علي

ديار ابرازاسه وكان محمود بن رمضان
صاحب ادقه ولذلك فعل الامير لوتبيه
الوالي بابن سوارشاه فلما فعلوا ذلك
قوي قلبهم واستنقي غدايام وبقيت
الروم كانهم قطيع غنم بلا راعي فاعقبت
العزجه مرجه وظهر الذي قتل طومان
باي انما هو الوزير الثاني وكان يسمي
سنان باشا وسبب ذلك ان السلطان
سليم حسب هذا الحساب وغير ملبوسه
وتاخر في طرف العسكر واوقف المذكورين
تحت الصنجق لفزاغ اعمارهم وكان بصحبه
السلطان سليم خيربك وفرحات باشا
وهم مجهولين في طرف العسكر ومر عليهم
طومان باي عند رجوعه وصحبته علان
ولرتبيه الوالي وهم ينظرون اليه
فلم

40

فلم يعد واحد منهم يتعرض له ولا يقربه
مع انه لو علم انهم اتاهم ما برح حتى اخذ
روسهم ولكن احي ما له قاتل فرجع
طومان باي من حملته تلك لم يرى
من عسكره واذ ابه منكرو العدو فى اثرهم كشف
عنهم هو والاميرين المذكورين وردوا
الروم عنهم واذ اسفرفة جات للامير
علان فى قصبة رجله لسترتها ودخلت
فى حلب الحصان فتلبه لوقته فوقع من
ساعته الا ان علان حمل نفسه وهمز
عن الفرس قبل ان يصل الى الارض
وحمى له نجنبت ركبه وقد ايس من الحياة
فروح السلطان طومان ولوى
عنان جواده الى جهته فتاطرني وانزل
فلما عاين طومان باي ذلك ايس

من الحياه و لم يبق معه احدا الا كرتبيه
الوالى فقصد نحو القلعه وطلعوا من
خلفها فلا زالوا حتى نزلوا على بركة
الحبش وعادوا الى طرا واما الامير
علان فانه لا زال سايرا حتى وصل
الى النيل وعدي الى بر المنوفيه
وذهب الى فلاحه ابن بغداد الامير
حسام الدين فلاقاه احسن ملتقى
وترحب به وارسل جا اله عمر وبجي
عمره نحو البوسين فراى من عينيه الغدر
وانه يريد يقبض عليه ويرسله لعدوه
فلما تحقق ذلك تاسف على نفسه وامر
بان تشد له الحصان ويقصد ان يشم
الهوي وظنوا انهم لم يفطن بهم فلما ركب
جواده طلب سيفه وترسه وتنظار بيده
فلم

ثم ركبوه

فلم يقدر احد يمنعه والتفت الي حسام الدين
ثم قال له ستنظرون يا خونه الله يخون الخاين
ولوى عنان جواده ولم يمنعه احد وكلما
لاقته سريه عرب يقول لهم انا علان فلم
يقدر احد يقربه فلا زال حتي عدي الجيزه
وقصد نحو الصعيد فلا زال حتي قصد بلدا
في اقليم البهنسا بلدا يقال لها النويره فنزل
عن فرسه واستقبل القبله ومات الى رحمه
الله تعالى فصلوا عليه اهل تلك البلده
ودفنوه في زاويه هناك رحمه الله واما
السلطان طومان باي فانه لما رجع الي
الحرب فلم يجد احدا من عسكره الا وقد
ولي منهزما من كثرة البندق والزربطانا
فلم يستطع احد ان يقف امام ذلك فطلع
من وراي القلعه وقصد ناحيه طرا

والمعروبة وتبعته بعض العساكر يقفوا اثره
سرية بعد سرية الى ان صار معه نحو السبعة الاف
فارس الاعيان منهم الامير قانصوه كرت وقا
نصوه رحله وقانصوه العاجر واينس باي
حاجب الحجاب وخشاي امير مجلس وشادبك
الاعور وقانصوه العادلي كاشف المنوفيه
وازبك المكحل وتاني بك النجمي والباقي مماليكهم
واتباعهم واما الامير جان بلاط فصار يجول
في قلب العدو ولا بقي يقدر على الهروب
فلما ايس من معه صار يقاتل الى ورا والى
قدام ولا زال كذلك حتى وصل الى قبة الهوى
فبطل جواده فنزل عنه وتركه وقاتل راجلا
فلما راته الروم ترجل طمعوا فيه وقالوا هذا
راجل ونحن رجال فانطبقوا عليه كالجراد
فقتل منهم فوق الخمسين راجل وصادفته
ضربة

A2

منزلته فوقع الى الارض ووقعوا عليه بالسيوف
حتي صار لا يعلم له راس من رجل رحمه الله
ما كان اشجعه من رجل يقاتل الوفا من الرجال
ولقد انصف القايل الكثرة تغلب الشجاعه
وكذلك وقع للامير قانصوه رحله في الرميله
قبل ان قتل بيده نحو الماتيه وخمسين رجلاً
من ابطال الروم حتي قتل واما باقي العسكر
الجركسيه منهم من قتل بالبندق ومنهم من هرب
ومنهم من تبع السلطان طومان باي وبابت
مصر ليس فيها جركسي الا ان كان مخفي وبعد
ذلك دخل خيربك على السلطان سليم
وانه اخبره بما وقع وانه امر صوب ارسال
شاه ملك القلعه وليس فيها احد غيره والراي
لما يراه مولانا السلطان فشكره السلطان
على فعله من تمليكه مصر الذي ما انت بحرمها

الملوك فقال السلطان لخايربك صف
لي مصر كاني انظر اليها فوصفها له من اولها
الي اخرها فاختار النزول عاشا لي النيل
في الجزيره الوسطانيه وانما طلع الي القلعه
في ساعته وجلس علي المسطبه التي تجاه الديوان
وقال علي الفور خيفه علي نفسه من العدو وس
ومن احد من الاعادي وبات في الجزيره
فلما تم انه سرع في ارسال العساكر الى السلطان
طومان باي فلم يجدوا بمصر جركسيا وبانت
مصر ليس فيها منهم احد واما طومان باي
فانه سار بمماليكه الى ناحية طرا والعروبة
وتبعته العساكر الجركسيه حتي بقي معه نحو
السبعة الاف خيال فاقتضى رايهم بالرجوع
الي مصر وان يحاربوا عدوهم الى ان يغلبوا
فرجع طومان باي ونزل في الشيخونيه وتفرقت

العساكر

49

العساكر في الحارات من الروم نحو العشره
الاف واكثر في ليلة واحده ثم اصبحوا نحا لهم
عساكر الروم من جهة الكبش ومن جهة
حدرة البقر فاقتتلوا مرات متعدده وظهرت
الجراكسه وقتلوا منهم نحو الستين الف في ثلاثة
ايام وكل مره ترى الروم منهزمين فعند
ذلك اقتضى راي السلطان سليم ان يركب
هو بنفسه وياتي من جانب القرافه ويلقى
طومان باي في الرمله فاما له واما
عليه ونوى ان وقعت الكره عليه يتم ساير
الى بلاد الروم فلما فعل ذلك وجا الى الرمله
اطبق الجو من ضربات البندق والزربطانات
فلما سمعت الجراكسه ذلك المذهول العداوة
كانوا غالبين مستبشرين بالنصر فضربت
غالب عسكرهم وقالوا من يقابل هذه النار

المهلكه واما طومان باي فانه لم يهرب
وحطم حطمة الاسد الغضبان وقتل منهم قتلى
حتى كل ساعده ولكن ماذا يفعله الواحد في
مايتين الوف ثم رجع فلم يرجع خلفه احد من عسكره
فلا زال السلطان طالبا لخو الشيخونيه فلم
ير احد وكان قد تواعد مع عسكره انهم ان حصل
لهم هزيمه ميعادهم الجيزه فذهب الى مصر
القديمه عدى الى بر الجيزه وتبعه مماليكه
وبعض العساكر حتى يغيبوا لخو الالفين واما
السلطان سليم فانه رجع منصور الى لخو
الجيزه الوسطانيه وارسل الى خاير بك
فقال له ما الراي عندك قال له لم يبقي
لهم بعد هذه الصدمه راس تنقام ابدا
وقد هرب غالب العسكر ولم يتبعوا طومان باي
فالراي عندي نادي لهم بالامان وبعد

44

ثلاثة ايام كل من وجد عنده جركسي مخبي
يشنق علي باب داره وكل من كان عنده جركسي
واخبر السلطان وقبض عليه فعليه الامان
هو ومن يلوذ به فتبقيت اولاد مصر كل من
كان عنده جركسيا ياتي الي خيربك ويخبره
عن هذه فيرسل لها جماعة يقبضوا عليه
وياتوا به الي وطاق السلطان سليم يضربوا
عنقه ويرحوه في البحر فمن جملة من كان
مخبي كان الامير كرتبيه الوالي فانه جاته
بندوقة في فخذه اضرته فما ساعه الا الاهر ب
فاختفي عند رجل من اصحابه من المباشرين
يسمي يحيي ابن بكر فلما سمع بالندا قال
في نفسه احق ما افعل اني اذهب الي
وطاق السلطان سليم واخبره بان
كرتبيه الوالي مخبي عندي وان يرسل له

منديل الامان واتا بله والتقى شره ولصير
لي يد عند السلطان فجا الي السلطان واجتمع
به مع خايربك ففرح السلطان لذلك فاوعده
بان يعطي له اي منصب شا وارسل معه
منديل الامان والمصحف وكتب له كتابا
انه اذا جا وقابله لا يفعل معه شي وعليه
امان الله ورسوله ولا يرى منه الا الامان
ورجع ابن بكر الي كرتبيه الوالي وبشره بالفرج
واجتمع بالسلطان سليم واعطاه منديل
الامان وها هو وحسن له عباره في المقابله
وتصير امنا على نفسه وماله وعياله ودخل
راسه الجران واجاب في المقابله وقام
من ساعته وركبا سوا الي الوطاق فلما راه
خيربك فرح به فرحا يورث ترحا وقال
يا امير كرتبيه ابن عقلك تتبع هذا المجنون
المخالف

45

الجبال مرسبقنسه لسير الى طومان باى وسوف
ترى كيف تاتى به ذليلا حقيرا او لكن جيت
طايعا مختارا فما عليك خوف بعد هذا اليوم
ثم دخل خير بك على السلطان واخبره بمجي
كرتبيه فخرج السلطان الى ظاهر الخيمه
وجلس على كرسى نصبه له ونظر الى كرتبيه
الوالى وقال له انت فلان قال نعم قال
له اين مروتك اين شجاعتك قال له باقيه
على حالها قال اتذكر ما فعلته فى عسكرى
قال اعرفه ولا نسيت منه شيا قال ما فعلت
فى ابن اسوار قال قتلته مع جملة ما قتلت
من عسكرك بعد ان عرف من عين السلطان
الغدر وان يخوفه وما هى له منها خلاص
وترك الادب وتكلم بكلام من اليس من الحياه
وجعل عينه فى عين السلطان سليم ودنع

بده اليمنى في وجه السلطان وقال له
اسمع كلامي واصغي اليه قد تعلم انت وغيرك
انا مما فرسان المنايا والموت الاحمر لو بلي
واحد منا بعسكرك لافناه وحده واذ لم
تصدق جرب امر عسكرك ان يتركوا ضرب البندق
فقط وها انت معك ما بين الوف من
كل جنس وقف مكانك وصف عساكرك
وتخرج لك ثلاثه انفار انا عبد الله والفارس
الكرار ظومان باي والامير علان وانظر
بعينيك كيف تفعل هذه الثلاثه تبقى تعرف
روحك ان كنت ملك او تصلح لنيل الملك
او تكون ملك فان الملك لا يصلح الا لمن
يكون من الارطال المخبوره كما كان عليه
التالف المصلح انظر في التواريخ ما كان
في الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وحذل

46

وحزل بما عضه من الشجاعه وكذلك
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه واما انت
لعتب لك عساكر من اطرف الدنيا من مصاري
ومن روم وغيرهما وجيت بهذه الحيله التي
تحمل بها الانزج لما ان عجزوا عن ملاقات
عساكر الاسلام وهي هذه البندقيه التي
اورمت بها امراه لبقت بها كذا كذا انسانا
ونحن لو اخترنا الرمي بها ما سبقنا اليه
ولكن نحن قوم لا نترك سنه نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وهو الجهاد في سبيل الله بالسيف
والعود والله يويد بنصره من يشا وكيف
ترمي بالنار على من يشهد لله بالوحدانيه
ولنبيه بالرسالة ودخل ايضا لهذه البنديق
رجل مغربي للسلطان الملك الاشرف
قانصوا الغوري رحمه الله وقاتل السلطان كله

واخبره ان هذه البندقية ظهرت من
بلاد البندقية وقد استعملها جميع عساكر
الروم والغرب وهي هذه فامره بان يعلمها
لبعض مماليكه فتعلم وجي بهم فرموا بحضرته
فشاه ذلك وقال المغربي نحن لا نترك سنة
نبينا ونتبع سنة النصاري وقد قال تعالى
في كتابه العزيز ان ينصركم الله فلا غالب
لكم فرجع المغربي وهو يقول من عاش ينظر
هذا الملك كيف يوخذ بهذه البندقية
وقد كان كذلك ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فقال السلطان سليم حيث انتم
منكم الشجعان والفرسان وانتم على الكتاب
والسنة كما زعمتم فباي شي غلبنا كم ومن
ارضكم اخرجنا كم واستعبدنا اولادكم
وافنينا جموعكم وها انت جيت اسيرا بين
يدينا

٤٧

يدينا فقال الامير كرتباي والله ما اخذتم
ارضنا بقوتكم ولا بفروسيتكم وانما ذلك
امر وصاه الله تعالى وقدره في الازل
وقد جعل الله لكل شيء بداية من جنسه
ولكل بداية نهاية كما ان لكل دولة مدة معلومة
وسمة معلومة وقد جرت عادة الله تعالى
تعالى في خلقه ان الايمة المتهدين
ان الملوك والسلاطين وانت ايضا
ان تحترم هذا النظام وما اظنك الامن
قال في حقهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
كيف بك اذا وقفت بين يدي رب العالمين
فاغتم منه السلطان ولكنه اظهر الحلم
وفؤاده يتوقد من شدة الغيظ لما اغلظ
عليه كرتباي واقام عليه الحجة ثم قال له
واما قولك انك اخذتني اسيرا فانه كلام

باطل وانما جاني رسول لك بكتاب من
عندك مختوم بختمك وها هو فظننت
انك تتوق عند قولك فما رايت من ذلك
شيئا ومما ورد في هذا المعنى المومنون
عند اقوالهم والمومن ان قال صدق وان
قيل صدق قال تعالى واوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها الاية فازداد السلطان سليم
غلظا ولكنه اظهر الحلم تصنعا منه واما
خايربك فقد طاطا راسه وبقي العرق يقطر من
وجهه ومما ورد ايضا في الحديث الشريف
اربع خصال من كن فيه فهو منافق او مومن
غدر واذا عزم نكر واذا خوصم فجر
واذا قوطع هجر وانت تزعم انك تريد
خادما للحرمين الشريفين فانك من

اهل

من اهل العدل والانصاف فما رايناً
شيا من ذلك وانما رايناك من اهل الجور
والاسراف يا ويحك كيف تنادي للناس
بالامان واذا جاوك تخونهم فلكن كفاك
ان اسمك سليم خان والله قد راينا في التوا
ان الملوك التي من قبلنا من الاتراك
والاكراد ان النصاري اذا قال لهم قولا
وحلفت عليه لا تخلف منه وهو نصاري
فكيف من يدعي انه من الملوك العادله
يريد ان يكون خادماً للحرمين الشريفين وهو
لا تصدق في قول بقوله والكذب سمة
المنافقين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ولا يغرنك ما انت فيه فما اصبحت
دولتكم فيه من اقبال فانه لا بد لكل اقبال
من ادبار ولكل جمع من تفريق ولكل اجل

من الضرام والكل توفيق من اختلاف
ولكل فرح من ترح وقد كنا نحن اقوى
منكم واشد باسا واعظم مراسا وانظر
كيف فعلت بنا هذه الدنيا الغدارة المكارة
ولعمر ما حصل لنا ذلك اما نعلم واحد
بمصر دي امير عسكرك بان يضربوا على برك
ديبرزوا الى مايه بماية او مايتين بمايتين
او الف بالف وانظر ما اصنع فيهم كل
ذلك والسلطان سليم ساكت وهو
يصغي الى قول كرتبيه وحراسته على هذا
الكلام واستحضاره هذه الاجوبه
مع انه متحقق الهلاك لا محال فقال له
السلطان كيف استيبك على عسكري تنزع منهم
انا لا افعل ذلك مطلقا فقال حيث كان
لذلك فباي سبب لدمنا تردرينا واتنا

والله

والله لا لهينا لكثرة جموعكم ولا ارعبكم باحجار ركم
وبنادقكم وانما كان السبب لرزق الناخلق
لهرسا فنظر السلطان الي خيربك وامر
بان يتقرب منه حتي يشاوره في امر كرتبيه
فلما وقف بين يديه قال له ما تقول
في هذا الرجل وجرئته وقوة قلبه ان
قتل مثل هذا لا يليق وليس في عسكري
مثله وانا نحربه في عسكري واجعله
صنجقا فاصفر لون خايربك وقال
يا مولانا السلطان ان ابقيت عليه
وجعلته وزيرا اعظم لا يبقي عليك ملا
علا ويفني جميع عسكرك وانما قال ذلك
خايربك الا بغضا فيه وفي ابنا جنسه
فقال له السلطان فما الراي قال له
اضرب عنقه واكتفي من شره وتاخر خيربك

ورق فتن مكانه ولونه مصر يعرف الامير
كرتبيه انه حسن للسلطان قتله فقال
للسلطان انظر هذا فابدك لحجهم تم
اصنع ما شئت انت وهو ومن لم يمت بالسيف
مات بغيره فعند ذلك نظر السلطان اليه
اليه نظرة الغضب وقال له اني اردت
ان اعتقك وامزج عنك واجعلك اميرا
من امراي وزايتك قليل الادب جري
اللسان فقال له الامير كرتبيه معاذ الله
ان تكون من امرايك او من اتباعك وانت
بهذه الصفه فنادي السلطان باعلا
صوته وقد احمر وجهه من شدة الغيظ
ابن الجلاد قال نعم قال اضرب هذا الجركسي
فقال له كرتبيه قطع راسي وحدي لا ينفد
منه شي فان قد راي ابطال وشجعان وعز
شان

50

وفرسان ولكن بالسلطان طومان باي

رضي الله فلما سمع السلطان سليم ذلك

امر السياف ان يضرب عنقه فضرب السياف

عنقه وذهب الى رحمة مولاه ان ربك

يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه

يختلفون واما السلطان طومان باي

نا انه لما وقعت الكسرة على الجراكسة

كان وعدهم قبل ذلك قال ان جات

الكسرة علينا يكون ميعادنا بر الجيزة

فلما كان لذلك عدى الى بر الجيزة

وتبعته بعض الجراكسة حتى صار معه

نحو الاثنين خيال لكن منهم كل فارس

معروف بالوف الا ان الكثرة غلبت الشجاع

والنار لا يقابلها احد ولولا النار الحق

مع السلطان سليم ما سد معهم في الحرب

ولا مروه ولكن اذا اراد الله بامر بلغه
والله في هذا اراده فذهب السلطان
طومان باي الي نحو الصعيد وقصد
الي هوّاره وطلب منهم الرضا له وان
يرفع عنهم الخراج ثلاث سنوات فابوا
وقالوا قد بلغنا ان الترقم لا تقاتل
الا بالنار ومن رطق النار فانه شي
راحقا وتبعه من العربان نحو السبعه
الاف محبه فيه فانه رحمه الله تعالي
كان محبوب الصوره لكل احد ولكن
اذا تم الامر توفي زوالا اذا قيل تم
فلا زال قادما حتي وصل الي قرب اطفيح
من اي بلاعا بكثره وهي مقاتله فلما
عاينها ووقف وقال ما اظن ان السلطان
سليم جانا او ارسل لنا جيشا فلما عا
ينوا

٩١

فلما غابوا بعضهم دخلت المراكب البر وطلعوا
ومعهم من الرماة نحو الخمسة الاف رامي بالبندق
وخمسين زردخانه وكان القيم على ذلك الجيش
رجل يسمى كاشف الفيوم فانه كان مع السلطان
طومان باي بعد كثرة الريدانيه واجتمعوا عند
طراوة العدويه واتفق رايهم انهم يكبسوا على
السلطان سليم بالجزيره الوسطانيه التي بين
بولاق ومصر ابن العيني فلما علم ذلك قال في نفسه
احق ما افعل ان اذهب الى السلطان سليم
واخبره بذلك واخذ لي منه امانا واكون من
حزبه فان دولتنا قد ولت فخرج ليلا من
عسكر السلطان طومان باي وامير اخر
يسمى ابو احمره وتبعهم مما لكهم نحو المايتين
نفس فلما اصبحوا اعلموا بان حايز قد خرج
ليلا فاستقصوا اخبره فقال بعض الاخبار

حاير قال صح

للسلطان طومان قد سمعناه وهو يقول
ان الذي يريد السلامة يتبع السلطان سليم
فان اسمه سليم ومن تبعه سلم ومن عصاه ندم
فتكدر السلطان طومان باي وقال سيندم
حيث لا ينفعه الندم وهل يرتجي من العقرب خيرا
ذلك لا دافع لله فيما قضي فلما اجتمع جانبرد
الغزالي بالسلطان سليم واخبره انه جا راغبا
في طاعته وان السلطان طومان باي قد
عول على كبسه في هذه الليلة القابلة فاخذوا
اهبتهم واستوطنوا لانفسهم فخاف الاحباب
للسلطان طومان باي بان جانبرد الغزالي
دخل في طاعة السلطان سليم واخبره
بانك تريد تكبس عليه فاخذوا اهبتهم وعبوا
النار من كل جهة فان فعلت شيا من ذلك
اهلكت نفسك ومن معك فكف عن ذلك
فانقضي

69

فاقتضى رايه ان ينزل في الشلخونيه وكان ابن
كما تقدم ثم انكسر فذهب الى الجيزه فلما علم
السلطان طومان باي ان هذه المراكب ما
جابتها الا خاير بك فانه لما اجتمع
بالسلطان سليم وظهر صدقه عنده تكفى فلق
السلطان كلما جلس في ديوانه يرسل خلف
خاير بك وجانم هذا او يامرهم بالجلوس
في حضرته وليستشيرهم فيما فيه الصواب
ويظهر لهم ان تمكن من ملك مصر يعطي خيربك
باشية مصر الى ان يموت اقطاعا ويعطى الفيوم
لجانم السيفي اقطاعا ثم قال لهم قصدي ان
ارسل لطومان باي جيشا لعل ان اظفر به
فقالوا الحمد والكرامه فقل ما شئت فاننا للامر
طايعون ولرايك سامعون فقال من يكون
باش على العسكر فقال جانم السيفي انا الفيك

في ذلك وانا ارجوا ان لا ارجع الا براس طومان
باي اذا اقبض عليه قبضا باليد واتي به اسيرا
فشكره السلطان علي ذلك وارسل معه خمسة
عشر الاف فارس وخمسة الاف رامي بالبندق
وخمسين زربطانه وخلع عليه خلعة عظيمة
وخرج حرجة اطبقت الجو حين اقلع ورمت
الرماه طلقا اظلم الدنيا وايقنت الناس ان
طومان باي لا طاقة له بهذا الجيش وخصوصا
جانم السيفي هو المقدم عليهم وكان جانم هذا
من الابطال المشهوره والشجعان المخبوره
فلما عاين عسكر طومان باي امر بدخول
المراكب للبر وطلع جميع عسكره الي البر وضربوا
طلقا زلزلت الارض وارسل الي طومان باي
يقول له في غد الحرب بيننا وبينك فقال له
حبا وكرامه فلما اصبح النهار تصافوا للحرب

فاما

فاما العرب الذي كانت تجمعت مع السلطان
طومان لما رأت هذه النيران وقال لبعضها
ومن رطق هذا الامر المهلك لايقاتل هولاء
الا المحزون او فزغ عن الحياة ولكن نرجع عن　نوجهه عنه
هؤلاء الى بعيد فكل من رانيا الكرة عليه لهنباه
هذا ما كان من امر العرب واما السلطان
طومان باي فانه ثبت للحرب ولم يتاخر
عن مكانه فكان اول من خرج في حومة
الميدان حاتم السيفي ونادا باعلا صوته
لا يبرز لي الا طومان باي ولعب اندانا في
الميدان حتى ادهش الناظرين وقوي قلب
الروم حين رأوا منه ذلك وقالوا ما بقاو
طومان باي في الفروسية الا هذا البهلوان
وصاروا ايشكرونه فكلما سمع منهم ذلك زاد
في لعب الابداب حتى لتعجب الحاضرين من الروم

وقالوا هذا الفارس الكرار ثم بعد ذلك وقف
في حومة الميدان وقال للجراكسه اين فرسانكم
اين شجعانكم فخرج من بينهم فارس كانه الباشق
اذا انقض علي الصيد وقال عزم عل نفسك يا جانم
وعتت ابنا جنسك فسود الله وجهك يا خاين فقال
ابطل ذا الكلام وابرز للضرب بالحسام فقال له
اصبر حتي او ريك لعب الاندال كما صبرنالك فقال
لدونك والميدان وكان ذلك الفارس هو
الامير دولتباي كاشف الحيزه فلعب في الميدان
اندابا فاق عليها جانم فتعجب الروم وقالوا لو
علم السلطان سليم وعلمنا ان هذا القوم بهذه
الصفه ما جينا بلادهم ولكن ما بقي الكلام
يفيد وانقطعت قلوبهم وقالوا ان هولا القوم بقوم
كل واحد منهم بجيش وحده ثم التطموا الاثنين
جانم ودولتباي ووقع الحرب فتحيرت النظار الناظرين
من

54

من اول النهار الى بعد الظهر فلما راي جانم من
خصمه رمى الرمح وسحب السيف وضرب ذولتباي
على خوذته قطعها وجرحه جرحا خفيفا غير
بالغ فلما ساح الدم غبطت الروم باجمعها
عقار بثم عقار بثم قوي قلب جانم وضرب خصمه
ضربة ابرى الرمح فبقي الرمح في يد ذولتباي
من غير حربه فالتفت الركيز وحدفه على جانم
فدخل الركيز في جنبه انشك بين اضلاعه فوقع
عن جواده فنزل ذولتباي ليقطع راسه وكانت
تتدفق عليه الروم بجملتها فلم يتمكن من عدوه
فما ساعه الا تركه وانثني على جواده والتطم
الجيشان فلله در الفنين تقاتل عسكر الف
وكسروهم حتى اذ هعوهم في مراكبهم وكان
النهار قد ولى فنزل عسكر الروم الى المراكب
وعدي الى ذلك البر واما السلطان طومان باي

بات في البرا الغربي فلما جن الليل جلس السلطان
طومان باي ودعي الامير شاد بك وبقيه
الامرا وضربوا النوره واقتضي الراي ان
ينقسموا فرقتين فرقه مع الامير شادبك
وفرقه مع طومان باي وان يذهب الامير
شادبك الى بعد ويبق السلطان طومان باي
في موضع المعركه فان عدوا الارقام وجا
وا الينا اخذناهم مواسطه واتفقوا على ذلك
واما العسكر لما اصبحوا قالوا الحاكم ما الراي
قال نذهب للحرب اما بنا او لهم ولعل نرجع
ولعل ان نظفر لهم فلما راوا الحاكم مصمم
على الحرب قالوا له انت بخروج دا ليس يبقي
لك قدره على الحرب فقال انا واحد وانتم
وانتم الوف تحتاجون لواحد وكان
المخاطب له اغاه الانكشاريه فلما سمعوا

منه

منه ذلك قالوا البعضهم صدق في قوله
فعدوا فعندوا الى البر الغربي وطلعوا الى موضع
المعركة نزاوا فقتل منهم الفين دخمسمائة
وقتل من الجراكسه سبعة عشر نفسا فقالوا البعضهم
فقالوا البعض ما هولا الجراكسه الا جن فكيف
بنا لو لم تكن معنا هذه النيران فكيف كان
حالنا ولكن ما بقي لهم مقاص الرجوع من
غير حرب فبادرتهم الجراكسه بالحرب فالتطموا
بهم في قوة الحرب واذا بالامير شادبك جا
من خلفهم بعد ان اخذ المراكب التي على
الساحل بحملتها بما انقلت منه غير
مركبين وارسل الجميع مع عشرين جندي
الى وطاق السلطان طومان باي وارطقت
على الروم الغرنتين من الجراكسه وهم
في كل مرة الف خيال و٢ الروم نحو العشرين
الف

بما معهم من العربان ثما مضي غير ساعة
حتي انكسرت الروم وقصدت المراكب
فلم تجدهم فانقطعت قلوبهم وتقهقر الجراكسه
فانثنوهم عن اخرهم وما نجي منهم سوي جانم
وابو حمره واغاة الانكشاريه المسمي بابا بنش
اغا فانهم لما انهزموا قصدوا المراكب
فلم يجدوها فاطلقوا عنان خيولهم
علي شاطي النيل فتبعهم قاضي العادلي
لكن كان بينه وبينهم مسافة رويا العين
فلم يدركهم فنجوا بنفوسهم فقط وجميع
ما كان معهم من الزربطانات والبندقيات
من الات الحرب وغيرها كله بجملته قسمته
الجراكسه واما جانم واغات الانكشاريه
فانهم لازالوا سايحين علي شاطي النيل
حتي لحقوا بالمركبين الذين انفلتوا من الامير
شادبك

كما تقدم فيما صدق قوا انزلوا ارجوا في البيار
فلما راهم قانصوه العادلي قد طلعوا في
المراكب التي من خصايلهم فرجع متاسفا
الذي لم يبلغهم ولكن الحي ما له قاتل وقد
كان السلطان طومان باي انتقد من قتل
فوجدوهم خمسة وثلاثون رجلا كلهم قتلوا
بالبندق وليس بعضهم ولا احد قتل بالسيف
فان في الحقيقة لولا البندق والزربطانات
التي كانت مع السلطان سليم والا كان
انهزم من اول مرة كما حصل في مرج
دابق ولكن اذا اراد الله بامر بلغه ولم
تعد قوة الجراكسة ولا امرهم شيا مع ان الهما
الامر اذا ابدا شيا بدا نقصه بعضي زوالا
اذا قيل تم فانهم كانوا تمكنوا في الديار
المصريه والشاميه واليمنيه ودامت لهم البلاد

والعناد وظنوا ان لا يقدر عليهم احد من
الملوك ولو اجتمعت عليهم الارض فانه كان
فيهم كل فارس يقوم بنفسه علي جيش وحده
وكان فيهم كفاة لذلك ولكن اذا انزل القضا
عمي البصر ولا دافع لله فيما قضي واما الارض
لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين
وقال تعالي قل اللهم مالك الملك الايه ونرجع
الي سياقة الحديث فلما رجع جانبزو ابو حمزه
والاغا منهزمين وقتل جميع عسكرهم وعلم
السلطان بذلك اكاد ان ينفلق من شدة
ما حصل له من القهر وارسل خلف خايربك
وقال له قد غررت بنا وادخلتنا في بلاد
هولا القوم ولا احد يسهل عليه ترك بلاده
من القهر ولوان طومان باي اعطاني السكه
والخطبة باسمي لرجعت عنه من الشام ولكن

هذه الارض برجلي فقال له خاير بك يا مولا نا
السلطان ان طومان باي رجل عاقل وانا
اعرف انه ليس له رغبة في ان يكون ملكًا
وانما السلطان الغوري اوصى جميع امرايه
ان صابته شي يسلطوا عليهم الامير طومان باي
لما يعلموا من عقله وذهنه وفروسيته وشجاعته
فانه فريد عصره وبعده الامير شادبك
الاعور والامير علان وقد جابني خبره وانه
جابته زربطانة في فخذه كسرته وكربته
الوالي ولا قدرته وهو واقف بين يدي
وهو متحقق انه لم يبقى له منها خلاص ومع
ذلك اقول له انني اريد ابقي عليه واعف
عنه واجعله من امرائي فلم يرضى ولم يتكلم
بنفسه بشي من ذلك واختار الموت ولم يدخل
تحت طاعة عدوه فلو علمت ان هولا القوم

بهذه الصفه ما دخلت لهم دبارًا ابدًا ولكن
انت اغررتني وطمعتني في أخذ هذا الاقليم
فانظر كيف تصنع ودبر نفسك كيف تعرف والا
فهي بينك وخذ راسك واغاظ السلطان
من خبر بك غيظًا عظيمًا فخرج من عنده وهو
اعمي أصم لا يعرف كيف يصنع فلقيه يولس باشا
فقال له ما خبرك فاخبره بما قال له السلطان
فقال والله صدق السلطان في قوله والله
لو سمع مني لاشرت عليه بان ينادي في عسكره
بالرحيل ونرجع الى بلادنا واوطاننا
ونحن طيبين فانك لاجل غرضك وكراهيتك
في اينا حبسك جوّتنا بين قوم يعلون الجن
خلفا عن الانس ولكن ما بقي الكلام يفيد
فخاف خاير بك على نفسه وحسب الحساب
في ان يولس باشا يكرهه ورعايتكم مع

السلطان

68

السلطان في حق خايربك فيقتله فاتتني
راجعًا الي خيمة السلطان واستاذن فاذن
له في الدخول فقال له السلطان ابتدانا الذي
دبرته من الراي قال ليعلم مولانا السلطان
انني ماجيتك إلا راغبًا لطاعتك ومحالك
وامريك علي جميع ابناجنسي وقد اطلعت علي بعض
الملاحم ورايت الرموز انك ستملك هذا
الاقليم وتصير ملك الاسلام فان من خادمًا
للحرمين الشريفين كان هو ملك الاسلام ولكني
يامولانا السلطان اريد منك تزدني لاتقبل
في حقي كلام احد الا بما يقتضيه رايك السديد
فان اقتضي رايك ان تقتلني فافعل فاني
حاللتك من دمي فتبسم السلطان في وجهه
وقال له لو لا تحقيقي محبتك ما طاوعتك
وجيت الي هنا ولكن كن بنا في تدبير باتيه

الصلاح لنا فقال والله يا سيدي لا ابقي
ممكنا في نصرتك ولو بروحي فشكره السلطان
على ذلك وامر له بخلعة عظيمة فلما رجع
من عند السلطان وهو لابس الخلع ورآه
يونس باشا وهو قادم عليه علم انه دخل
على عقل السلطان ومشي معه على مراده
فقام له داخله ظاهراً مع الكراهية له
باطنا فقال له ما الذي اقتضاه راي
الامير قال ما يكون الا خيرا وارجو من
الله ان يمكننا من طومان باي ونأتي به
اسيراً بين يدي السلطان فقال له يونس
باشا ان صح ذلك لان يسعد السلطان
قال ان شا الله يكون ذلك ونرجع الى
سياقة الحديث فلما رجع جانم وابو حمزة
واياس اغا منهزمين الى وطاق السلطان
سليم

59

سليم تكدر السلطان وندم على ارسال جانم
واكاد ان ينفلق من القهر ثم انه عمل ديوانا
فلما حضرة الوزرا والامرا قال اين خاير بك
فجاه وتقدم بين يدي السلطان وقال له
ما تقول قال الامر امرك ونحن بين يديك
مهما امرتنا به فعلناه ولو ان فيه هلاك
ارواحنا قال السلطان ان قلبي حس
من الاول ان جانم ليس هو لفو لطومان
باي حتي الملاقات في حومة الميدان ولكن
اني اريد ان ارسل له كتابا بالامان مع
قاصد عاقل عارف برد الجواب فلعل
ان الله تعالى يهديه ويقعده على بلاده
واخبره اني رضيت منه بالاسم فقط لاني
اخترت سلطان الاسلام ونصرني على مدينة
علي ملوك الارض بخدمة الحرمين الشريفين

وتحمل السكة والخطبة باسمي وارحل عنه فقد طا
المطال وكلما نرسل له جيشا يهزمه ولا ينجو ا
منه الا كل طويل العمر واخشى انه اذا قل عسكرنا
وعلم ذلك حطم علينا حطمة لا ينجو منها الا
القليل منا فقال خير بك يفعلوا لانا السلطان
ما نقتصد في ارسال البولاق ولكن انا اعرف
انه لا يوافق على شي من ذلك وربما قتل
القاصد فقال السلطان اذا لم يوافق والا
انا القاه بنفسي والله يويد بنصره من يشا
فعند ذلك فعند ذلك ارسل له قاصدا
يسمي مصطفى وكان عاقلا عارفا طلق
اللسان اديبا فارسله وارسل معه خمسماية
نفس لان الطريق كانت مخيفة من العربان
فلما وصل الى وطاق السلطان طومان
باي وكان بالقرب من منية بني خصيم
نزجل

60

ثم رحل عن فرسه و نزل و من معه واستاذن
في الاجتماع بالسلطان فاذن له واوصل
المكاتيب للسلطان فقراها السلطان واعطاها
للامير شاذبك فانه ارسل لكل امير كتابا
بالخصوص يخبرهم انه لاحاجة له ببلادهم
وانه ما يريد الا الاسم فقط وانه كل من قابله
اخلع عليه واعطاه مرسوما بالامان
وانتم على ما انتم عليه والله يخون الخاين
واوثق كلامه بايمان واقسام فقال السلطان
ما تقولون يا اغاوات فقال الامير شادبك
امارايي قتل هولا الطايفة التي ساقتها
القدرة الالهية الينا فنكفي شرها واما
ما لك نفسك لطاعة عدوك فلتعلم ان
ما بينك وبين الهلاك سوى حتى تصل
اليه وتقف بين يديه فتصير الامانة خيانة

والعزة اهانه وتكون كالذي القى بنفسه
الى الهلكه وطلب منه السلامه وتندم حيث
لا ينفعك الندم واما انا فلا ادخل تحت
طاعه عدوي في عمري ابدا وذلك اني
اعرف ان كل احد الى الممات وقد جعل الله
لكل شي ميقات فلا ان دخلت تحت طاعه
عدوي يزيد في عمري فعلي ان الموت لا مفر عنه
وان كل حي لابد له منه فاقتضى رايهم بان
يقبضوا على القاصد الذي جاه ومن معه
وضربوا رقاب الجميع وكانوا يزيدوا على
الف ادمي ثم امر السلطان طومان باي
بالمسير الى جهة مصر فلا زالوا سايرين
حتى اشرفوا على بركة الحاج فراوا لها
وطاق السلطان طومان بن سليم وهم
من ذلك البر على العدو فوقفوا ينظرون

وبينا ماهم

61

ويتألون وان يضربوا الراي كيف يصنعون
واعلموا ان السلطان سليم ما خرج الي بركة
الحبش لا يريد الا الحرب ويريد ان يعدي الى
بر الجيزه فهم واقفين واذا بكردوس من الخيل
قادم عليهم واذا به الامير زمك الناشف
تقدم الي السلطان طومان باي وقبل يديه
واعتذر له بانه كان لحي لسبب جراحه اصابته
في الريدانيه واخبره بان قنبردي الغزالي
كان راس الملاخن عليهم حين اخرجوا المدافع
وامرهم بردهم تحت الرمل وكان هذا
غاية المعاكسة لهم فقال السلطان
والله اني عرفت انه ملاخي علينا من اول
مره لما ان ارسلته بالجيش فقتل الكره وانهزم
فعلمت انه بالقصد منه ولكن ارجوا من الله
تعالي ان يرمي كيده في نحره واما السلطان سليم

فانه لما جاءه جانم وابو احمره منهزما واخبره
بما جرى له وان السلطان طومان باي قادم
بجموعه الذي جمعها فارتاب السلطان سليم
وقال كلما اظن ان الامر قد هان وما
انتظره الا ازداد شره فعند ذلك امر
يونس باشا بان يأتي بالامرا المسكين
عندهم بانهم كانوا نادوا لهم بالامان
فكان ذلك مكيدة من خيربك فتفقوا كل من
يأتيهم يحبسونه ويوعدهم خيربك انه اذا تم
الامر للسلطان سليم فانه يطلقهم ويبقيهم
على مراتبهم ومناصبهم التي كانوا عليها
فلما جاءت الاخبار بان السلطان طومان
باي قتل القاصد الذي ارسله السلطان
سليم وجميع من معه فاغتاظ السلطان
غيظا عظيما كثيرا وارسل احضر الامرا
المحبوسين

بالامان

المحبوسين بقلعة الجبل من الجراكسة وامر بضرب
اعناقهم اجمعين وكانوا نحو الستين امير منهم
ما هو امير مائة مقدم الف ومنهم ما هو امير
اربعين ومنهم ما هو امير عشرة فلما حضروا
بين يديه سالهم عن مناصبهم فاخبروه فقا ل
لهم لم تركتم ملككم وجيتوا الى عدوكم قالوا
اثرنا خدمتك على طاعته واخترنا ان
نكون من اجنادك فقال لو كان فيكم خير
كان لسلطانكم طومان باي الذي هو
فريد عصره في الشجاعة والفروسية والله
لو جاني طايعا وقابلني لابقيته على بلاده
فاني لا اريد الا الاسم بان اكون خادما
للحرمين الشريفين ولكن انا اعرف ان الشجا ع
لا تسكن نفسه ان يكون تحت حكم عدوه واما انتم
لو كان فيكم خيرا ما تركتوه وجيتم الي

وهو الذي كان من عثمان ومن معهم

[illegible] ذلك امر بضرب اعناقهم بين يديه وهو
ينظر اليهم فاول من ضرب عنقه الامير
طوقتباي نايب القلعه ثم اسنباي حاجب
الحجاب ثم تمر الزردكاش ثم اركماس امير
سلاح ثم الامير ازبك المكحل صاحب البيت
الذي ليس بيت المكحل ثم الامير فارس
الفاجر ثم الامير مغلباي الزردكاش ثم
الامير قانبك راس نوبه ثم الامير ماماي
المحتسب وهو صاحب بيت قاضي العسكر
الان المقابل بالمدرسه الكامليه ثم يشبك
ملوخيه ثم جان بلاط الابح وكان ازاد
السلطان طومان باي نايب القلعه ثم خيربك
الخازندار ثم خايربك المعمار ثم بقية الامرا
الذي كانوا خافوا له بالامان حتى صار
الموضع كالمجزره ثم امر السلطان سليم بالتغديه

الي

الى بر العرب ليقاتل السلطان طومان باي
بنفسه فاما له وامة عليه فلما عدت المراكب
الى البر العربي فكانت كل مدينه يكون فيها
نحو الالفين واكثر من الروم واما السلطان
طومان باي فانه كان واقفا بيرقته خلف
ربوه عاليه واقام واحد ينظر له الخبر فلما
اخبره بان الروم وصلت الى البر فقال في
نفسه احسن ما يكون ان اقطعهم اول باول
فعند ذلك زحف عليهم زحفة واحدة فما
شعروا الا وهو كابس عليهم واوقع فيهم القتل
فما وصلت التعديه الثانيه الا وقد افنى
غالب الاولى فارتج عسكر السلطان سليم
وتشتت امره فمنهم من قتل ومنهم من انقلبت به
المراكب فيها فحصل للسلطان سليم كرب
عظيم وندم على ذلك وقال لو اشار علي احد

يفعل ذلك لقتلت ايشم وقتله ولكن هذا بن بن
الاموا الذين قتلتهم بغير ذنب بعد ذلك
امروا ان لا احد العربي وان يصفوا الي ربطانا
على شاطي النيل ويرموا على الذي في ذلك
البر من اخر الكسه ورموا عليهم ادوت له الدنيا
ولكن لم يصيبهم منه شي لبعد البر الغربي عن
البر الشرقي فهم في هذه الحاله وقد حصل
للسلطان طومان غايه الضر واذا بغبار
قد ثار من خلف ظهرهم وصيحات وعيطات
وخيل قد ملات الوادي فوقفوا ينظرون
ما الخبر فلما قربوا منهم واذا بهم عرب غزاله
مقدمهم حماد ابن خبير واخوه سلام وكان سلام
هذا الاربطاق فنادوا للسلطان طومان
باي بالشتم والسب ولكف عن محاربة السلطان
سليم وقالوا ان لم ترجع عن محاربته ولا كنا
كلنا

64

كلنا عليك وناخذك مواسطه ولكن
ارجع الى حيث شيت واخرج من ارض مصر
فانكم قد قتلتم خلقا كثيرا ايام دولتكم
وما منا احدا الا وله واحد قد قتلتموه اما
اخوه او ابوه او قريبه وقد ازال الله دولتكم
وجا بهذا الملك العادل فقال لهم السلطان
طومان باي ستنظرون اخوالكم لقد دنا
ولكن السلطان ولى راجعا بعد ان خادعهم
بالكلام فلم يقبلوا منه قولا مطلقا فقال
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا اغاوات
ان دولتنا قد زالت واجالنا قد ما لت
وما بقي في هذه الديار نصيب ولكن لنا
اسوة بمن كان قبلنا وانظروا الى هذا الرجل
سليم وكلما قتلنا من عسكره واحد ونقول
قد ضعف امره فيرسل الله من ينصره فهو اعلينا

وما الامر الا من عند الله وقرا قوله تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا
الذي ينصركم من بعده فما الراي عندكم قالوا
له الراي ما تراه ونحن بين يديك كلما تفعله
نحن موافقونك عليه فقال لهم سيروا بنا الي جهة
الهرم فهم سايرون واذا بكردوس من الخيل
قد قدموا عليه فارسل ينظر من هولا فاذا به
قيت الرجبي الذي محبوسا بالاسكندريه وقد
كان حبسه السلطان الغوري فكتب على يده
مخلد فلما السلطان طومان باي وحصل له
ما حصل تذكر قيت الرجبي هذا وكان من
الفرسان المشهوره فقال حق ما ارسل اطلق
قيت الرجبي واخلع عليه ليكون لنا عونا على
هذه الاعدا وكان مجيه في هذا الوقت فقبل
يد السلطان وبلغته الامرا والبسوه خلفه السلطا

دسار

69

وسار بعضهم الى جهة اهرام الجيزه واخلوا الله
ما وقع للغوري وما جرى له من اوله الى اخره
فقال لهم بالله المستعان وعليه التكلان ولا
تستعينوا الا بالله وكان من اهل الراي والدين
وكان قاريا كاتبا عارفا باداب الحرب ولهذا
حسبه السلطان خوفا من ان يدبر عليه ثم
قال الامير قيت الرجبي يا مولانا السلطان
خطر عندي ان نجعل هذه الوقعة نظما ونكتبها
على هذا الهرم ونكون لنا لها الذكر على مر
الدهور والايام وكانوا بازا الاهرام فقام
السلطان والامرا الى الهرم العزبي فوقفوا
فاشار السلطان لمو ما بناي
والامير قيت يسمع والامير شادبك نكتب
على الهرم هذه الابيات الذي من احسن المعلقات
تتضمن ما جرى لهم من اول الحروب الى اخرها وهي

وهذه الابيات التعليقات اثبتها

دموع العين فاضت من اماقي ... وقلبي ذاب من لهب احتراقي
فلا نار طغاها دمع عيني ... ولا دمعي يغيض من احتراقي
وبي اسف على اسفي وحزني ... وهمي فوق همي واشتياقي
على زمن تقضى في نعيم ... بمصر والعلا والعز باقي
وشمس العز في شرق المعالي ... وبدر الصد في درج المحاق
ولما ان اراد الله هدا ... اتانا الروم من جهة العراق
وسلطان الجميع سليم شاه ... عظيم الملتقى مر المذاق
وكان الماجد الغوري شاها ... مليكا شبه بحر في اندفاق
وقد قاد الجيوش لنحو حرب ... وكان المرج وجهته التلاقي
وكان الحرب يوم الجد لكن ... تولى جيشنا والحرب باقي
وسلطان لنا امسى قتيلا ... طريحا والدما في اهراق
وكان الخاين الكلب الغزالي ... وخاير بك المواطن في النفاق
بما اضل الطغر عنه عن حقيق

الي

الى حلب كخيل في سباقي • وساروا الكذ مرجا لمصر
بهم زاد الكرب مع ضيق الخناق • وعند حماه ضربك الخامر
رجع لعدونا يبغي شقاقي • وفي الشام الغزالي كاد
دابرك عاقه كل العوائق • وساروا بعدها سيرا جنينا
لعزة ثم مصر في لحاق • براي العقل علا ان لواقي
وسيرنا الزبعيه عظم جيش • عزة الاف فرسان سباقي
وقد منا على الكل الغزالي • ولم نعلم سوا الاختلاف
واختار الهزيمة وهو له • سلاح الحرب خوفا من دهاء
وجاءتنا رجال الروم مصرا • وقد جازوا البلاد مع الاقا
خرجنا بالجموع لنلتقيهم • وكان الزبوم الحرب واقي
دفي خط المدافع قام قوي • وزادوا في الخصام والخنا
وقد جاءت علينا الروم زحفا • كبحر مالح في الاندفاق
وزادوا الرمي بالبارود حتى • حسبنا الرعد محلول الطلا
واطبق كل ناحية وفج • واشغل بالمنفقة الدفاقي
فعلت للرسم ترى الاعاقه • علينا كالسحاب على التراقي

فلما حموا قالوا العدو واقي
كذا سلطين ايم العدو واقي
في مصر قالوا ...

وقلت الى الفتى علان حقا ۰ فليس لنا من الاحباب واقي
فقال اليوم نصليها بطعن ۰ تموت الناس والتذكار باقي
ومنا بالعدو ذلك وقت حملنا ۰ كاسو لا تخان ولا تراقي
فتلنا من ملوكهم ثلاثا ۰ واسقيناهم كاس الدهاقي
دلمنا قدروا وادي العقل مني ۰ اتونا كالجبال بالانطباقي
فاسقيناهم كاس المنايا ۰ فخروا للثرى مذ كنت ساقي
وبودق بالعوارس في نجاة ۰ بطعن في الصدور والاعناقي
وعدنا عودة الاسادة لنا ۰ اتوا بالصيد من فلل الوطاقي
دقد صنا الغزالي قد تولى ۰ والحضار الهزيمة بالنفاقي
ومن علان جاز زرنطانه ۰ وكانت بالمنية والفراقي
فوا اسفا عليه وقد تولت ۰ وودة عني وداع الافتراقي
نطل العين باكية عليه ۰ بدمع لا عمل كما السواقي
وجاني كربته كمثل هذا ۰ وصار المجد منه كالنطاقي
لذلك جنبلاط غدا طريحا ۰ ابواترسين في النجا واقي
واما قانصوه امير قطيا ۰ فلم يوقه يوم الحرب واقي
وكم

67

دلهم رست قتل سليم شاه • بيا رزني وخير الحرب باقي

وامسم لو اراه غدا قتيلا • ببيني لو رفي سعا طباقي

ولما ان رايت الحرب وار • علا وقتل عني رفاقي

فولت الجواد لنحو مصر • وحسبت الفناء والله باقي

وعند طرا اتاني الجيش • جمعا وسرنا بالجيش التراقي

وعدنا نحو مصر لاجل حرب • كسبا الردم والديجور

قتلنا منهم جمعا غزيرا • بضربات المهندة الرقاق

ثلاثة ايام كان القتل فيه • دفنا والعساكر في لحاقي

وقوي قد ارادوا الغدر في • ويرموني اسيرا في وثاقي

وشادبك احمي عني بسيف • وكان بنفسه في حرم واقي

جزاه الله عني كل خير • وكان له رحيق المسك ساقي

ودخنا قرقشته ثم عزنا • وصرت احذر من عظم اشتياقي

وجئنا قاعنا امسي قتيلا • ووفق الان معه في دفاقي

فقلت لشادبك اذهب سليما • واحذر من طسعل الحماقي

فان عدانا جمعا غزيرا • كمثل البحر زايد في تراقي

فقال اليوم نصليها بطعن ✽ كمثل النم لا ينفعو راتي
وقاتلنا الجموع فقاتلونا ✽ ونحن على المصيبة العتاتي
وبعد الظهر جانا جيوش ✽ عديد الرمل جمعا في ارتطام
وزلزلت البلاد لهم الى ان ✽ حسبت الحرق قام مع التلاق
فقلت لرفقتي حلوا وقلوا ✽ وولينا جميعا بافتراق
دهمت لسهلها لحميها الغاني ✽ جموع من سادات زعاتي
وقاموا في ضجيج مع لحيبا ✽ وجاتني جنود بنو سطاتي
وقالت لي تخلفنا على من ✽ ولسن تزالنا في الحي دائي
ولجزة من زيان وانت ليث ✽ طويل النار والمخلاب باقي
ودنيك السابقات لكل خير ✽ ودنيك اللاحقات مع البواق
فخلصنا من الاروام يا ذا ✽ وانا في مضيق وانفلاق
فقلت لها وزب البيت اني ✽ صبوح الضرب بالسيف الرواج
احب الي من شرب الملاهي ✽ على كاس وابريق وساق
وشوب وما العوازس كل يوم ✽ مدامي واصطباح واغتباق
واني وان ذهبا الي اعتداد ✽ لقد فلت جموعي مع رفاق

وعنتر

68

وعنتر غاب عن عبلا سنينا • بعيد الانس في ارض العراقِ

ونام الزير دهرًا عن كليب • وبعد سبى حالما بلاقى

وان النيل يعلوا بعد نقصٍ • الى ان يشتكى نبض العراق

وان البدر يكمل بعد نقصٍ • ويورق الادح من بعد المحاق

وان الليث يهرب من لهيب • ويرجع رجعة كالسم باقي

واني سوف أعطى ثم اتى • ارجعه بعمر في يوم السباق

فعادت وهي نادبة بقهر • تضج ضجيج من الم الفراق

وقالت يا طهمناي المقدا • فراقك عندنا مر المذاق

فسافر في امان الله اني • ودعتك للذي رفع الطباق

فرديت الجواد ودمع عيني • كسيل سال من بحر الاماق

وسافرت الصعيد وجرد جيشي • كما قالوا اوافوق ولاق

وجانم قد اتى وبدا بحرب • وولى هاربا دون الرفاق

وصرت لنحو مصر في جيوش • وما دمع الخيولة والنياق

وورمك قد لقاني في طريق • فنال الذل ما حد طلوع طلاق

وصبحنا جيوش الروم صبحا • على الجرد المضمرة العتاقِ

وزدت القتل حتى كل شيء • واشغل نيل مصر بانفراقي

وقد رمنا نغزي البحر لكن • غزاه قد ابونا في استباق

وراموا حربنا وبغوا علينا • وان البغي شوم الاخلاق

وعدنا في قتال الروم نصرا • لعتقنا فتيت سيد من بلاقي

وعلقنا على الاهرام شعرا • كنظم الدر في حسن التساق

قال الراوي فاقتضى راي السلطان طومان

باي ومن معه من الامرا ان يرحلوا الي دهشور

وينادوا في البلاد ان الخراج بطال ثلاث

سنوات وان من اراد القتال ونصرة السلطان

طومان فاسرع الينا وله ما لنا وعليه

ما علينا فلما كان كذلك اجتمع لهم عالم عظيم

من عرب وفلاحين وغيرهم واقتضى رايهم

ان الامرا ذلك يكون باشا على عزة الالاف

فارس وراكب وماشي وليذهب الى قتال

سليم في اي محل صدفه فيه وان السلطان

طومان

69

طمعان باي ليستمر في دهشور حتى يادته الخبر
من عند شاذبك هذا ما كان من هولاوا ما
ما كان من السلطان سليم فانه ضاق صدره
وندم على دخوله مصر وخشي ان يطول عليه
المطال ويدخل عليه الشتا وينقطع عنه خبر
بلاده من امر النصارى ليلا يدبروا امرا
في غيبته على اخذ القسطنطينيه فاشتغل
فكره ودخل عليه الشيطان فنوى ان يبطش
بخيربك فانه هو الذي احسن له التوجه
الى اخذ مصر وخصوصا لما اوعده
السلطان بان يجعله باشا على مصر
الى ان يموت فهو في هذا التفكر وهو متحير
في ذاته وقد دخل اليه الوزرا واخبروه
ان بلاد الاطفيحيه خرجت عن طاعة السلطان
سليم وقامت العربان كلها على ساق النصرة

السلطان طومان باي فازداد السلطان
غمًا على غمه فاقتضى الراي ان يرسلوا الخبر لكبير
مشايخ العربان وتامرهم بطاعة السلطان سليم
وانه ما قصده الا عمارة البلاد وانه ما يحصل
منه اذيه لاحد من العرب ولا من اهل البلاد
وان كل من خالف وعاند ما له جواب الا السيف
فقال من يكون سردار على التجريده قالوا كل من
اختاره السلطان فقال يكون قنبردي الغزالي
لانه اعرف بامر هذه البلاد وبقتال العربان
فلما حضر امره السلطان بذلك فاجاب
بالسمع والطاعة وقال امر العربان هذا
اسهل ما يكون ولا يهتم مولانا السلطان
لشي من ذلك قال الناقل وهو الشيخ احمد
ابن زنبل الرمال المحلي ان السبب في وصول
الغزالي الى طاعة السلطان سليم وهو انه لما

عاكس

٦٥

لما عاكس السلطان طومان باي في امر المدافع
وغطاهم بالرمل عنادًا ومكرًا منه ومن بعض
الامرا فلما ان حصل ما حصل من الهزيمة في
وقعة الريدانيه وانهزم مع جملة من العسكر
حسدًا منه للسلطان طومان باي وكان قصده
ان يتسلطن فلما اقتضى راي الامير علان والامير
شادبك الاعور والامير كرتبيه الوالي والامير
قانصوه العادلي والامير اركماس راس الحلبان
وبقية الامرا الاعيان ان يسلطنوا طومان باي
لما يعلموا من فروسيته وشجاعته وديانته وتقوا صغره
وزهده في الدنيا وعدم التكبر والتجبر وليس
يستحق السلطنة الا هو فلما كان كذلك غلب
على قانصوه الغزالي الحسد والبغض لابنا جنسه
حيث انهم لم يوهلوه للسلطنة وقدموا عليه
طومان باي وهو احق منه وكان لها واهلها

فاخذ بعاكسهم في كل امر دبروه ويخطي رايهم
فيما يفعلوه فعلم السلطان طومان باي والامير
علان انه ملاخ عليهم فاراد الامير علان ان
يبطش بخيردي الغزالي فقال له السلطان
لا تفعل ذلك فقال له اما تنظر الى معاكسه
لنا وعناده قال اخشى أنك أن قتلته ربما
يقع الفتنة في عسكرنا وينخرم نظامنا ولكن
اصبر وتأنى وما يكون الا ما اراد الله سبحانه
وتعالى ولا يغلب الله غالب والله ان ليس
لنا رغبة في قتل احد وانما هولاء القوم بغوا
علينا ويريدون ياخذون بلادنا واموالنا
ويسبوا حريمنا فواجب علينا ان ندافع عن
نفسنا وعن اولادنا وحريمنا والباغي له مصرع
دع كل من قدر على شي يفعله والله يفعل ما
يشا فقال الامير علان والامير شادبك والله ما دام
هذا

61

هذا الخبيث الولد الزنا يبيننا لا ينتظم لنا نظام
ابدا الا ان اهلكه الله فقال السلطان طوما
والله ثم والله ليس لي رغبة في الملك وانما انا
واحد منكم ولو لا انكم الزمتموني بذلك ما طاوعتكم
في شي من ذلك ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا
ونرجع الى ما كنا فيه فلما انهزم قنبردي
الغزالي تبعه اثني عشر اميرا فضاق منهم الامير
سودون الدوادار بن زربطانه اخذه فخذه
فضار معهم الى قلبوب وهو بلا محنه فتصي دمه
فمات هناك ودفن بها ... ذلك ابنه علي
باي واطلعه من قبره وحمله الى مصر ودفنه
في تربته ولم الامير قنبردي الغزالي الخاين
على طريقه ومعه الاحد عشر اميرا وكان
من جملتهم ازدمك الناشف الى ان وصلوا
الى الامير احمد ابن بقر فخرج الى لقايهم ورحب

بهم واتام لخدمتهم وما زالوا عنده والاخبار
ترد عليهم وشاع ذكر السلطان طومان باي
بالشجاعه وما ظهر منه من الفروسيه وما
فعله في عسكر السلطان سليم وما قتل منهم
ولذلك الامير شادبك والامير قانصوه العادلي
وغيره من الاعيان الذين سبقوا السلطان طومان
باي يحصل عندهم الغيره من ذلك فان الجراكسه
كانوا قوم نفوسهم شامخة وأعطاهم الله تعالى
الشجاعه والفروسيه وكانت هي فخرهم
فكان كل منهم يحدث نفسه ان يكون سلطان
ولهذا اخذوا دابرهم فان اخذ الملك ليس
هو بالقوه وانما هذا امر الهي يعطيه الله لمن يشا
من عبيده فلما ترادفت الاخبار بما فعله طومان
باي فصاروا يتعجبون من ذلك فان طومان
باي ما كان مشهورا عندهم الا بالدين والصلاح

والولايه

والمولايه وكان الذى ينظره لهذه الكيفيه
والوقار لا يشك في صلاحه وكان محبوب الصوره
عند كل احد قال فلما ظهرت منه هذه الشجاعه
والفروسيه صاروا يتعجبون فقال لهم الامير
رزمك الناشف اما سمعتم قول القايل الشجاعه
صبر ساعه فقالوا يا امير صدقت ولكن
من يصبر على ملاقات هذه النيران من هذه
الزربطانات والبندقيات لو كانوا امثلنا
يقاتلون على ظهر الخيل كان الواحد منا
يقاتل مائة منهم وماتين لانهم ليس عندهم
معرفة بركوب الخيل ولا الجولان في الميدان
فقال لهم الامير رزمك الناشف انحى ما قاله
قاتل وقال في نفسه ما عمره قاتل في هذا المحل
وسلطاننا يقاتل بنفسه والله ليس هذا
من المروه ونوى على الذهاب الى السلطان

طومان باي وبات وما اصبح نفتش عليه
فتبروي الغزالي فعلم انه سار الي طومان باي
فخشي انه ان قام يوم اخر رجعت بقية الامرا
الي طومان باي واخبروه بمحل الغزالي الذي
هو فيه فقال في نفسه وتكلم مع الامرا الذين
معه وقال لهم يا اغاوات اعلموا ان دولتنا
قد ولت وما بقت البلاد الا لهذا الملك والاولى
والاحسن ان نذهب اليه فناخذ لنا
منه امانا فاذا صرنا في امانه أمنا على انفسنا
واموالنا وحريمنا وايضا ليس هو مقيم في
هذا الاقليم فانه حيث تمكن من اخذ البلاد
ويقتل طومان باي اقام خايربك نايبا عنه
وذهب هو الى بلاده فاذا اهب عنا بقيت البلاد
في ايدينا نتصرف فيها كيف شينا فقالوا له
ومن اين لنا انه يعطينا الامان قال لهم انا
اضمن

٦٣

اصمن لكم ذلك فان بيني وبين خاير بك اتفاقا
باطنا لا يعلم به احدا الا انا وهو فقال عنيد ذلك
الطاعه وذهبوا معه الى ان وصلوا الى ليمان
الريس وارسل اعلم خيربك بقدومه ففرح
خيرباك بذلك فرحا عظيما وذهب الى حضره
السلطان سليم واخبره بذلك ففرح السلطان
ايضا بذلك فرحا عظيما وارسل له خيربك
والوزرا واعيان دولته فتلقوه ودخل من
باب القنطره في موكب عظيم وهو لابس خلعه
عظيمه من اعظم الخلع وقابل السلطان ورحب
به وامنه وامن جميع الامرا الذين كانوا معه
وصار معززا مكرما عند السلطان سليم
وعند عسكره ونرجع الى سياقة الحديث
فلما اخبروا السلطان سليم ان العربان قامت
على ساق وعصبت وخرجت عن الطاعه

وافتضي راي السلطان في ارسال الحرابيه وارك
العترالي باشا عليها وكان معه خمسمايه نارى
من الجراكسه وخمسمايه رامي بالبندق من الاكنارية
الي بر الاطفيحيه فلما وصل الي اطفيح وراي البلاد
كلها قايمه على ساق ذا العربان يجمعه فلما راوه
قصدوه وبادروه بالسب والشتم ثم وقع
الحرب فكانت الكسره على العرب فانه بادرهم
برمي البندق فلم يثبتوا لذلك فولوا هاربين
فقتل منهم وشتتهم وامر بنهب نجوعهم
وسعيهم وحريمهم واولادهم وارسل جميع ذلك
الي السلطان فامر ببيعهم في الرميله فابيعت
النسا والاولاد الاحرار كما تباع الرقيق ولكن
بالجبس ثمن فضاق الناس من في قلبه رحمه
يشترو لهم ويعتقوهم في الوقت ووقع على العزالي
دعا العطب ما لايحصي حتى دعت عليه اليهود والنصا
ري

٦٨

والنصاري فلما سمعت العربان بذلك عصت
جميع الاقاليم وكذلك العشير من الخوف وكان
سيدي يحيي ابن الامير بن بك صاحب بركة الزبكيه
لما كان وقعة الريدانية وانهزمت الجراكسه
ثم علي ظهر الي بلاد بني حرام وكان بينه وبينهم
مصاهره وهو مقيم عندهم والاخبار ترد عليه
وقلبه مع السلطان طومان باي ولكن لا وصول ل
له اليه فلما كان لذلك وعصت جميع البلاد
تراى له طريق الى الخروج وصار هو وبني حرام
يخرجون ويدورون في البلاد والطرقات
فلما وصلوا الي باب النصر وباب الشعريه
وكل من وجدوه روميًا قتلوه فقتل من الاروام
شي كثير وخصوصًا من عجم اعلان فانهم كانوا
يدورون ينهبون كل ما يجدوه من اكل وغيره
وكانت الزعر والفلاحين يتبعونهم حتي يجدون لهم

نرصته في قتالهم فيقتلونهم عن اخرهم حتى رخص
القتل في ذلك الزمن وكان سيدي يحيي ابن الامير
يزبك شجاعا عظيما وكان من الفرسان المخبوره
حتى اجتمعت الناس انه كان فريد عصره
في كل فن من فنون الحرب وكان فيه محاسن
ما تفوق الوصف فلما سمع بان السلطان طومان
باي قابل السلطان سليم على المناوات ورحل
عنها الى دهشور واته جعل الامير شادبك
الدوادار الكبير مقام نفسه في جميع اموره
واشترط على نفسه انه ان ايده الله بنصره
جعله ولي السلطنه من بعده لاجل ما اظهر
من الشجاعه والقوه في حرب الروم
قام سيدي يحيي ابن الامير يزبك وعزم على التوجه
الى السلطان طومان باي وعدى من بر الشرق
الى بر الغرب وهو ساير وكل من لاقاه من العربان
يترحبون

75

يترحبون به ويعزمون عليه فانه كان محبوراً
عندهم بالعزوسية فلا زال حتى وصل الى دهنور
واجتمع بالسلطان طومان باي ففرح به
السلطان وساله عن حاله فاخبره عما فعله
هو وبني حرام من قتل الاروام فشكرها السلطان
على ذلك وامر ان يكون مع الامير شاد بك
من اصحاب المراتب ففرح بذلك قال الناقل
هذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر
السلطان سليم فانه لما نظر الى الامور المفزعه
والاحوال المطربه خاف على نفسه وضاق من اجل
ذلك صدره وتحير في امره وقال لارباب دولته
ماذا تقولون في هذه الطايفة العلج التي
كلما اقول ان امورهم هانت نما الاشر هم
الا في كل يوم يزيد وقد حصل لنا منهم غاية
التنكيد فان والله كان الصواب في رجوعنا

ولكن دبر(؟) الله علينا بهذه الاحكام وقال
يونس باشا ان كان رجوعنا من الشام هو
الصواب الان خاير بك لما وعدته بان
يكون ملك مصر ما دام في قيد الحياه وصار
يدبر الي تحصيل مراده ولا تدرز(؟) له علي ذلك
فهو يحسن لك العباره ويسهل لك الامور ويظهر
لك انه ما قصده الا ان تكون البلاد بلادك
والحال انه في باطن الامر انما يستعين بك
علي بلوغ مراده وهو هلاك ابنا جنسه واستقلاله
هو بالبلاد والملك ونرجع انت ونحن معك
ان سلمنا ويستقل هو بالبلاد لنفسه اما له
بانك لا تاخذ منه مال ابدا فهو يجتهد في ذلك
غايته الاجتهاد ويحصل عند السلطان تغير عظيم
علي خاير بك حتى اتفقوا اجمعين انه لا يبقي عليه
ابدا وكان يونس الذي هو الوزير الاعظم يكره
خاير بك

76

خايربك في الباطن لما راي منه من قلة الخير
في حق ابناء جنسه وكان ليونس باشا من
الاخلاق الحميده والاوصاف الجميله ما يفوق
علي الوصف ولكن الجيد ما له بخت وكان يعرف
ان خايربك ما قصده الا بلوغ مراده ولكنه
دخل علي عقل السلطان سليم فصار يصغي
لقوله فقال السلطان سليم متحيرا في نفسه انه
ان قتل خايربك وهو يكون في اقليم مصر وقامت
جميع البلاد عليه من الشرق والغرب فلا يامن
علي نفسه فما ساعه الا الصبر واخذ في امر
التدبير كيف يفعل فقال السلطان سليم
لارباب دولته هذا نحن قد اخذنا ارض الفرم
وسبينا حريمهم وقتلنا اولادهم واكابرهم
فماذا نريد بعد هذا وكفي ما قد جري وصار
الاحسن فيما اري ان نجعل بيننا وبينهم صلحًا

ونترك لهم بلادهم ونرحل عنها ونخليها لهم
فانهم في الحقيقة الا ان عندهم باس وعزو ولله
ولله عاقبة الامور فقال الحاضرون نعم الراي
ما راه مولانا السلطان فقال يونس باشا
ان هذا كان رايي وفي خاطري ان نرجع من الشام
الى اوطاننا وبلادنا ولكن اذا اراد الله بامر
لا رادة له فقال هذا الرجل طومان باي
وشاذبك وقلج كلما ارسلنا لهم رسولا قتلوه
ونخاف ان نرسل لهم اخر يقتلوه كما قتلوا غيره
فقال الامير اخور كبير وهو احمد باشا الذي
كان تسلطن بمصر في ايام السلطان سليمان
رحمه الله قال يا مولانا السلطان الراي عندي
ان نرسل لهم قاصدا من جنسهم جركسيا ان كان
ولابد فانت فاعل ذلك نان قتلوه فخوفا منهم
وان انفوه رجع لنا بخبرهم وننظر ما نفعل

فقال

فقال له السلطان سليم نعم الراي ما رايت
ونعم القول ما قلت فاقتضي رايهم ان يرسلوا خوش
قدم الذي تقدم ذكره وكان اصله مشد الاتون
ايام الملك الغوري وهو الذي جا الي السلطان
سليم مع جانم بان السلطان طومان باي يريد
ان يهجم عليك فاستيقظ لنفسك فاخذ له من
السلطان سليم امانا وصار من حزبه وبارز
بالعداوة لابنا جنسه فامر السلطان باحضاره
فلما حضر قال له السلطان اني اريد ان ارسلك
بهذه المكاتبات الي طومان لعلهم ان يقع
بيننا وبينهم صلحا فقال له حبا وكرامة ولكن
اذا لم يوافقوني والا كنت لهم اول من يقاتلهم
قال ثم خرج من عند السلطان وطلب يونس
واوصاه بان لا يغلظ عليهم في الكلام فان
الكلام اللين تقبله النفوس فلما وصل خوش قدم

الى قرب دهشور رفري حبيشا عظيما وخيلا بكثره
فلما وصل اليها فاذا به الامير شاذ بك ومعه
هذه العساكر وهو قاصد الى قتال السلطان
سليم فلما اجتمع به ووقعت العين في العين
فقال خوش قدم يا معاشر الامرا والسادات
انى اريد الامير شاذ بك واتكلم انا واياه
فيما يكون فيه الصلاح لنا ولكم فتقدم
الامير شاذ بك وعن يمينه الامير ابرك راس
الحلبان وعن يساره قانصوه العادلي والامير
قابح وحركوا عن خيلهم وترجحوا عن ظهور دوا
بهم وسلموا على بعضهم فقدر ريحين وكان البادي بالسلام
الامير شاذ بك فرد عليه خوش وقدم السلام
فقال له الامير شاذ بك ما معك ايها الامير
ومن اين جيت فقال جيت في الصلح بينكم
وبين هذا الملك سليم الذي هو اعظم ملوك
الارض

78

الارض ولديس الراي لكم ان تعادوه والراي
عندي ان تدخلوا تحت طاعته احسن من ان
تصيروا في قبضته وتذوقوا بين يديه العذاب
وتقطع منكم الرقاب فقال له الامير شاذبك
انا انت امرك عجيب فقال له لما قال لانك
كنت تقول قبل مجي هذا الملك الذي تزعم انه
اعظم ملوك الدنيا ان جاوا الروم الى ارضنا
اول من يقاتلهم انا واكون قدام الابطال حيشي
فلما ذهبنا الى الشرق اطفيج ورجعنا الى حرب
عدونا وضربنا رايا ان نكبس عليهم لئلا
هربت انت منا ورحت الى عند عدونا
الذي كنت اول من يقاتل انا واخبرته
بما دبرناه واطلعته على ما اضمرناه فلا ادري
اتعلت ذلك من ضعف في قلبك او خلل في
عقلك ثم اعجب انك جيتنا اليوم تزعم انك تريد

الصلح فلا ندري اخصم انت ام حكم فقال له
خوش قدم صحيح اني فعلت ذلك وما فعلته
جبنا من الحرب ولا خوفا من الطعن والضرب
وانما فعلت ذلك لما ان رايتك صرت دوادار
كبير وتوليت علينا هذا العلو الزايد كرهنا
ان نكون تحت امرك وان ننقاد لقولك وفعلك
فقال له الامير شاذبك من حسن عقله وحلاوة
لسانه وطول روحه وادبه في جوابه والله
يا امير خوش قدم لو نلت انت هذه الوظيفه
التي حسدتني عليها لكنت انا اول من يخدمك
منها ويقوم بحوايجك فقال له خوش قدم
وقد خجل منه واستحى والله اننا كنا حسدناك
عليها ولكن لما سمعنا عنك ما لم نصدقه من الفروسيه
والشجاعه ورأينا ذلك عيانا قلنا والله
انه احق بها واهلها ولولا ان السلطان طومان
باي

79

باي راه يستحق ذلك ما اعطاه لكن هذا قلج
من اين حتى ان يكون في مرتبة لرتبة الوالي
فلما سمع الامير قلج هذا الكلام نما ساعة عقله
ان يسكت عن الجواب ثم قال له وانت لو علم الله
منك خيرًا اعطاك الله اعلامنا ولكن الله
تعالى علم انك رجل خاين خارج عن حدك
مارق عن ابنا جنسك فلما سمع خوش قدم
هذا الكلام الخرق بجازه وكان عنده كليشان
عقل فما سمع منه هذا الكلام الا وخرج منه
وثلث تنظا رتبه ثم طعن الامير قلج طعنة بقوة
عزمه يريد بها هلاكه فاخلي عنها بمعرفته
فراحت في البطال ومن شدة الطعنة اراد
ان يسقط خوش قدم عن جواده فلما عاين
ذلك الامير شاذبك خرج منه الحد وكان
في يده طير جناح على ظهره مكتوب دليل لنهب

الازواح فضرب به خوش قدم على قنطاربته
اراها كما يبري القلم فلما سقطت قنطاربته
من يده جذب سيفه وقصد الامير شاد بك
فضربه ثانيه بالطير على خودته قطعها وجرح
راسه جرحا خفيفا لكنه ارماه فلما نظر الدم
على وجهه ولى هاربا فلما راوه اتباعه قد
ولى هاربا ودمه يقطر من لحيته فتبعوه وولوا
مهزومين فتبعهم الامير شاد بك فترمسيل
ورجع عنهم فما سلم منهم الا القليل فلما وصلوا
الى وطاق السلطان سليم اغتاظ غيظا عظيما
وكاد لا يدري ما يفعل ثم انه عزم على الرحيل
الى بلاده وترك هذه البلاد واتركها لاهلها
وقال في نفسه ان هذا الامر لا طايل فيه
ثم امر باحضار خاير بك فقال له اني اريد
الرجوع عن هذه البلاد واتركها لاهلها

وثما

80

ومَا عسي ان افعل فاني كلما اقول ان الامر
تدهان ومما انظره الاين دادشوه فلما سمع
خايربك ذلك شق عليه هذا الامر وقال يامولانا
السلطان ان فعلت ذلك سقط من اعيني جميع
الملوك ولا ابتقام لدولتك راسي ولكن الصبر
عقباه الفرج ومن تاني نال ما يتمني ثم بعد ذلك
امر باحضار حوش كان مع خوشي قدم من
الاروام وقال لا تاتوني بجرلسي ابدا او تورّي
لاحرا منهم وجها فلما وقف كبيرهم بين يدي
السلطان فقال له اما اجتمعتم بطومانباي
فقال لا والله ما اجتمعنا به وانما وحدثنا
شاذبك وهو سايرالي جهتنا وهو قاصد الينا
فقال السلطان في اكم فارس يكون قالوا معه
العين فارس من كل مدرع ولابس وفي الحديد
غاطس وهو ماشي يقول في نفسه انه يقدر

يفتح لهم الارض شرقا وغربا فقال له السلطان
انت نظرت شاذبك الاعور قال نعم وقربت منه
حتى نظرت في وجهه فقال السلطان صف لي
صفته فانعم وصفه عندي مرارا عديه فقال
ليس هو طويل ولا قصير وانما هو شرطة الناس
وليس هو سمين ولا رقيق الا ان قواعيه كقوايم
البعير اعرض ما فيه صدره والتافه وذر عنه
حنطي اللون عزبي الوجه وليس هو اعور كاسمه
الاعور ولا به حول وانما اذا مال بعينيه
على جانب يكون احداهن بياضها ازيد من
سوادها فلما سمع منه السلطان هذا الكلام
ثم قال صدقت وقد طال الكلام بينهم حتى
حتى تمكنت انت من النظر اليه قال نعم حتى اني
سالت من جماعه خوش قدم فقالوا انتاب ابناه
باعيننا وهو عليكا العجل الجاموس من قرونه
هو يجد به

81

ويجدبه بليقيه من مكانه ويلوي قرنه بيديه
فيقلبه علي جنبيه والناس تنظر اليه فقال
له صدقت اني سمعت عنه هذا الكلام ولكن
اذا نزل القضا عمي البصر فلا تفيد الشجاعه
سوف اني سا قبض عليه واقطع راسه وانت
تنظر اليه فان دولتهم قد انعكس ظالعها
ثم ان السلطان سليم التفت كلتبه الى الحرب
وامر ان تمسك جميع المراكب ويجعلوها صفا
واحدا من بين مصر الي بين الجيزه وان تربط
في بعضها با حكام واتقان وامر ان تعدي
عليها العسكر يفعلوا كما امروا خذ معه عشره
الاف فارس ومثلهم مشاه نقاه النقاوه
من شجعان عسكره غير اتباعهم وطلب وقال
الامير شادبك وترك في مصر يونس باشا
وبقية العسكر واوصاهم بحفظ البلد واخذ

معه خاير بك نايب حلب واوصى الوزير يونس
باشا انه اذا جا الغزالي يرسل اليه فامر الوزير
من وقته وساعته بكتابة مرسوم الى قنبردي
الغزالي يامره ان يعدي من الشرق الى بر الصعيد
يريد قتال السلطان طومان باي ويذكر له
ان السلطان سليم عدي الي بر الصعيد يريد
قتال السلطان طومان باي وهو مجول له في الطلب
وانت اذا وصلت اليك هذه المكاتبه تكون
علي اهبه حتي تجتمع بالسلطان وتكون انت
واياه على طومان باي؛ قال الراوي فلما عدى
السلطان سليم الي بر الجيزه ومعه سيدي محمد
ابن المرحوم الغوري وكان سيدي محمد قابل
السلطان سليم في اول دخوله مصر على يد
اخي حلبي وقاضي العسكر الحنفي محكم وعهد
كتب له السلطان سليم وحلف له انه لا يضره
بوجه

ابدا
بوجه من الوجوه فلما قابل اكرمه السلطان
سليم غاية الاكرام واخلع عليه خلعة تليق
بالملوك وزاد في اكرامه حتي اطمان اليه وصار
ياخذه معه في كل محل ذهب اليه فلما عدي
السلطان الي بر الجيزه كما تقدم وصار يسير
علي التراخي لاجل ما معهم من الزردخانات
والمدافع والاحجار والاثقال وغيرها
قال الناقل لهذا التاريخ هذا ما كان
من امر السلطان سليم وسيره بالعسكر واما
ما كان من امر زمانه وفريد عصره واوانه
الامير شادبك فانه سار بمن معه حتي وصل
الى اقاليم جيزه وعن عينه الامير قانصوه العادلي
وسيدي يحيي ابن الامير يزبك والامير دولت
باي كاشف الجيزه والامير برد بك وعن يسار
ابرك راس الحلبان والامير تمر نايب الاسكندرية

والامير دولت باي كاشف الصعيد والامير قج
صدق الامير شاذ بك واسه وهم سايرين فقال
الامير شاد بك يا اخواني اظن الله في هذا اليوم
تقع لنا مضايقه من قبل عدونا فان قلبي جربته
ياخذني شي الا وقد صادفته الصحيحه وقالت
العارفين من ثبت نبت والشجاعه صبر ساعه
فهم في هذا الكلام الا وقد ظهر لهم علي بعد جيش عظيم
وصناجق واعلام فقال لهم رايتم ما قلت لكم
ولكن تاهبوا ووقفوا مكانهم واما السلطان
سليم فانه لما عاينهم عرفهم فانه قد جاه بدوي
من عرب الفيوم واخبره بان شاذ بك قادم عليك
ومعه الفين من خيار عسكر طومان باي كل واحد
منهم يقول في نفسه انه يلقا الف بمفرده فتاهب
فعند ذلك امر السلطان سليم للرماه ان يبدو
بالرمي لعل ان يكون فيه هلاكهم ونستريح من

شرهم

83

من شرهم فلما تقارب الجمعان حمل الامير شادبك
عليهم حملة واحدة فدكس عليهم فلما عاينوا
منه ذلك رموا عليه طلق من البندق والمدافع
والكيفيات والشعيات حتى ادوت الدنيا
ولا بقي احد ينظر الى احد فهلك من هلك وهرب
من هرب وثبت من ثبته الله ولكن الامرا الذين
تقدم ذكرهم لم تهلك منهم احد ثم توكلوا
على مولاهم واسلموا امرهم اليه وحطوا ايديهم
في الروم وقاتلوا قتال من ايس من الحياة
فقاتل الامير قتال الجبابرة فما مضى من النهار
نصفه الا وقد تقهقرت الى ورا من
الامير شادبك لا يروه من احد وقالوا
ان هذا لا يطاق ولا قدرة لاحد على لقاه
ومن له قدرة على حربه اي هذا الاسد والله
ان مثل هذا الاسد لا يجوز قتله فعند ذلك

الروم

امر السلطان سليم عسكره ان يتفرقوا عليه من كل
جانب وصار كل من قرب منه هلك لوقته ولم
يقدر احد منهم ان يضربه ضربة لا بسيف ولا بعود
فقتل منهم كذا كذا الف في يوم واحد وصار يصيح
عليهم ويقول لهم فلوا عن الحرب يا علوج الروم
وارجعوا يا لمعالق الي شوربتكم ثم كلمهم بكلام
فاحش ذكره الحاج فارس وهو غلامه الذي
كان وراظهره بالجنيب قال وقد استقتل الامير
شاذبك وما بقيت الروم بين يديه الا كالغنم
يسوقهم حيث يشا فعجزوا منه بجملتهم وايسوا
منه ولم يبقى منهم احد يقدر يقربه فان كل
من قاربه هلك وهو ينادي ويقول اين
انت يا سليم يا من يريد ان يكون سيد الملوك
والسلاطين اختصار ابرز الي الميدان يا جبان
يا من يقاتل المسلمين بالنيران قال ثم التفت

الامير

84

على سياره فوجد كردوس من الروم نحو الالفين
قد احاطوا با الامير دولت باي كاشف الجيزه
وهو بينهم كالاسد فمال عليهم ميلة منكره
ولوامن بين يدي بديه هاربين وضاربو نحتهم
وهو يقول لهم في الوف ونحن متين ما الكم والحرب
والقتال قال الراوي من اهل الراي والمعرفه
قالوا جميعهم والله لو ان السلطان قانصوه
الغوري لما سار الي مرج دابق ومعه تلك
العساكر والجنود والامرا مثل الامير سودون
على الاختصار المذكورون وتلك العساكر
لما امتدت في ارض سيلان وهم نازلون
الي قتال السلطان سليم وكانت عساكرهم
من صلحوليه الي الجون ولا احد اقادس هذا
العسكر ولا يقول انه ينكسر ابدا فلما توافقوا
مع السلطان سليم انكسروا مقهورا فلو انا سامنهم

سليم شاه مثل ما قاسا مع الامير شاذ بك بهذه
الطايفه القليله ما كان عدي من حلب وكان
رجع الى ارضه وبلاده قال الناقل لهذا التاريخ
وما زال الامير شاذ بك يبري الروس الى
ان انقطعت حدة الروم وقتل اكثرها فكان
الامير شاذ بك كلما سمع الجاويشيه يحرضوا
العسكر يميل عليهم حتى قطعهم وقتل قتالا لا
يدخل الحصر حتي صارت الرجال مطرحه ثم
انهم ولوا هاربين وراحلي من عسكرهم جانبا
كبيرا واما باقي الامرا من الجراكسه فكان
كل امير منهم كسر الذي بين يديه لانهم في طول
عمرهم ما قاسوا مثل هذا اليوم وكان السلطان
سليم ديا وه ويتحير ويقلق ويضجر ويقول لما كنت
اقول الجان اقاسي من احدكما قاسيت في يومي هذا
ولا كنت اني بهذه العشرة الالاف فارس وراجل
التي

85

التي هي حنا رقومي ويتبعها اكثر من عشرين
الاف ىلقاني هذا الاعور في اقل من خمسمائة
ونبي عسكري فقال له خاير بك ذالله يا مولانا
السلطان وكذلك ما كنت ان شا دبك بهذه
الصفة لاكثرنا نعتبره بين الفرسان ولكن
ابرز للعسكر انت بنفسك لازجرهم وامرهم بالحاله
عند ذلك خرج السلطان على عسكره وصاح في
وجوه اكابرهم الحرب اين تذهبون والى اي
ارض تهربون ثم انه صار يعدهم بالترقي
والعطا الجزيل ويقول لهم انظروا الى هذا
الاعور وهذه الخمسمائه فارس انزلوا عليهم
بجملكم ذلما تكلم السلطان بهذه الكلمات المحضر
مع اكابر دولته تخزحوا من بين يديه وهم لا يدرون
ما يصنعون وصاحوا على الطرايف المجتمعه
وكانت الجراكسه اتقنوا بالظفر وصاروا في ذلك

الموت

الاحمر وما بقي مع الامير شاذ بك من العنى الا
خمسمايه فارس واما البقيه فمنهم من قتل
ومنهم من هرب واما الذين قتلوا لم يقتلوا
الا بالبندق ولما كانوا انهزموا الروم وقفوا
حول الامير شاذ بك وهو بينهم كالاسد وكل
منهم يدعوا له ومنهم من يقبل يده او رجله
في الركاب لما راوا منه هذه الشجاعة التي
لا يسمع بها الا عن عنتر ابن شداد وصار
يسال عن واحد بعد واحد فما وجد احد
منهم قتل واما الذين هربوا كلهم مما اليك
واتباع واما الروس والاعيان مثل الامرا
فانهم المذكورين على الاختصار فقال
لهم الشجاعه صبر ساعة انظروا لما صبرتم
كيف نصرتم على عدو ولم تنشروا نفوسكم حتى يتم
الامر لكم ومن يتعب منكم يقف في مكانه ولا

يولي

86

يولي الادبار فيكر اصحابه ويسمع العدو فينا
د كلما كنتم حزمته فاحرته كنتم الغالبين فقالوا
يا امير ليس هنا احد لهرب من طعن ولا ضرب
ولسوا با فرس منا وانما اضر علينا هذه النيران
والرصاص والزربطانات التي لو رموها
علي الجبال لزالوها قال لهم شي من هذا طلقا
فالحي ماله قاتل والانسان اذا فرغ اجله
مات وقال الله تعالى لكل اجل كتاب ثم انهم
ظنوا ان الروم بطلت همتهم عن الحرب واذا
بهم قد اقبلوا عليهم زحفا مثل قطع الغمام
فصاح عليهم الامير شاذبك الجملة ثم انه
نطح الجيش بصدره كانه الليث الضرغام
ورموا اول طلق والثاني والثالث بالبندق
والزربطانات حتى صار البندق والزربطانات
كالمطر ولو ان الحجر الكسه قد انهمر في الروم سحابا

زايدًا حتى صاروا كالواحد فلم يصب احد من الروم
شيا الا البعض وصار بينهم حملات وصار لهم
رقعا بالسيوف وكان لهم شهودًا لم ير مثله في
هذا الزمان وكان الامير شاذ بك قاتل في
ذلك اليوم قتال الجبابره كانه الليث العصعران
مال على جماعة طحنها او طايفة مزقها فلم يكن
الا شيا قليلا حتى ان طما جمرة الروم وخمدت
وردجوعهم الامير شاذ بك قهرًا وزجرهم
بحد سيفه فرجعت مواكب الروم من بين يديه زجرا
الى الهرب وقالوا ان هذا البطل الشرهو الشر
ولا يليق لاحد ان يقاتل مثل هذا الشجع العقنفر
فلله دره من بطل بطل الابطال وهزم الاقبال
حتى صار بعض اكابر الروم يدعون له لما
راوا من شجاعته وفروسيته ما بهر عقولهم
وعلموا انهم لا يقاومونه في ركوب الخيل
ولاني

87

ولا في ضرب السيف ولا في رمي السهام وانما
عمدتهم على رمي البندقيات ثم ان الروم لما
راوا هذا البلا انقهقروا الي ورا فلا زالو حتى
وصلوا الى الى النيل السعيد وقصدوا انوضاض
الحرب نهم في هذه الحاله واذا الغبار قد ثار
حتي ستر الاقطار فوقف الروم حتي ينظروا
ما الخبر وما كان لو قوفهم حتي ينظروا هذا
الغبار وايضا وقفت الجراكسه وصبروا قليلا
واذا الخيل تركض فقال لهم الامير شاذ بك لا ان
تخلوا هذا الجيش القادم اذ لم يكون السلطا
طومان باي والا انه عرب عزاله تتجاوا علينا
لنصره عدونا فلما تم قول الامير شاذ بك واذا
بهم عرب عزاله مقدمهم سلام ابن خبير
واخيه حماد وهم قاصدين الجراكسه فلما راوا
الجراكسه بادروهم بالسب والشتم فلما عاين

ذلك ان منهم عرف ان الامر قد صعب فاقتضي رايه
ان يوري لهم الهزيمة حتي يتبعوه فاذا اتبعوه
يبعدوا عن الروم برقة عليهم وزعما ان الروم
يرموا عليهم طلقا فيكون فيه هلاكهم وكان
كذلك فانه لما اظهر لهم الهزيمة طمعوا فيه واتبعوه
فلما بعدوا عن الروم رجع عليهم الامير شاد بك
رجعة الاسد وقاتلهم قتال من ايس من الحياة
فما ثبتوا بين يديه درجة الا وقد ولوا منهزمين
وكلما بقي احد منه يقربه الا هلكه فما ساعهم
الا الهرب واما السلطان سليم فانه لما راي
العرب قد انهزمت علي الفور امر الرماة ان
ترمي فقال له الاعيان كيف ترموا عنا العدو
وقد جاء النصر لنا فقال اما رايتموهم وقد
انهزموا في اقل من ساعة ارموا ودع كل من
نزع عمره يموت فرموا عليهم طلقا فاصاب غالبهم
فلما

88

فلما رات العرب ما حل لهم من الروم اغتاضت
قلوبهم وقالوا انظروا الى هذه العلوج نحن
نقاتل عنهم وهم يرموك علينا بالنار ولا يرحمونا
هذا جزا من يفعل المعروف مع غير اهله ونادوا
بعضهم من يرد السلامه يتبع الامير سلام واخير
حماد فخرج سلام وتبعته العربان وما سلم منهم
الا كل طويل العمر فما مضي غير ساعه حتي انعزلت
عرب غزاله الي بعد قدر ميل ووقفوا ينظروا
لمن يكون الامر بين الفريقين فلما عاين الامير
شاه بك ذلك حسب لحساب وانه متي ما رجع
الي قتال الروم يتقفاه العرب وتضايقه
ويفوته عن مراده فامر الامير كرتبا وانضوه
ان يكون في مايه فارس تحت الصنجق بمن معه
فاميناو حدوا العرب حملوا عليهم في المايه
والعرب في الوف وقد قتل منهم نحو الف واكثر

ثم حمل الامير شادبك والامرا المذكورين وهم صف واحد كل واحد منهم مقوفر بحبيش وحوله ذرهم من فوارس افراد عصرهم نحو الثملثماية تحطم علي الوف مولفة بالبندق وساير الات الحرب فلما رات الروم الامير شادبك رجع اليهم يريد الحرب صاروا يتعجبون منه غاية العجب وقالوا لا شك ان هذا الرجل مجنون وان معه احد من الجن يساعده علينا واما العاقل فلا يوقع نفسه في هذا الهلاك ثم ان السلطان سليم امرهم بالرمي عليهم بالبندق والالة المذكوره فلم تر الادم يغورا ورش تطير وكان النهار قد ولي وغربت الشمس فالح السلطان سليم في الحرب وامر اجناده بان يضايقوهم وكان يرجوا اخذهم في ذلك الوقت لان غالب عسكرهم منهم من قتل

ومنهم

89

ومنهم من هرب فما بقي الا الامرا الروس
وبعض مماليك فطمعت فيهم الروم غاية الطمع
وبذلت المجهود نسد ذرهنه الغربان القلايل
كيف تقاتل واصطلوا الحرب بانفسهم فلما عاين
سليم الامير خلاف ذلك ودخل الليل نادي في
عسكره بالانفصال فرجع الامير شادبك والامرا
الي صناجقهم وصار الامير شادبك يشتمهم ويقول
لهم بلسان الترك اذهبوا الي شر رستم يا علوج
الروم يا كزه يا نجزه ولم يرد له احدا منهم جواب
ولولا ان الخيل عيت من تحتهم ما كان تحل عنهم
بقية ليلتهم ثم رجعوا ينظرون لهم محل ينزلون
فيه فقال لهم سيدي يحيي ابن الامير بن باك
ننزل علي شاطي النيل تجاه عدونا فقال الامير
شاذ بك هو صواب لكن وجدت راي اصوب منه
وهو ان بالقرب بركة علي الطريق رعا ان السلطان

طومان باي يرسل لنا احدا او ياتي هو بنفسه
فلا ينظر الينا ولا يعرفنا في اي جهة نزلنا
فاستصوبوا ارايه فلما تشتوا غير ساعة الا وقد
اقبل عليهم حمس فرسان من عند السلطان
طومان باي فاجتمعوا بالامير شادبك واخبروه
بان السلطان نازل على دهشور وهو مشغول
الفكرة عليكم وما جاءه الغروب ثم ان ياتي اليكم
فراى النهار قد ولى وبلغه ايضا ان عزغزاله
قد جار بوكم مناعزة لعدو وكم مساه ذلك
وانقبض خاطره وبقي متحيرا في نفسه فقال
الامير شادبك ليته قد جانا في ذلك الوقت
بالطعن والضرب لا كنا اخذناهم بواسطه
عن اخرهم ولو صح منه الراي لكان جانا في السيف
عمال ولكن الله اعلم ان دولتنا قد ولت وما
نحن نقاتل الا عن حريمنا واولادنا والله تعالى

خبر الجيش المصري

في

في خلقه متدبير ثم قال القاصد ان السلطان
امرني ساعة وصولي اليك لا تتاخر عنه ساعه
واحده وتلحقه على ضيعة وردان فامر الاتابك
عسكره بالرحيل فقال له بعض الامرا فان يتبعونا
العسكر فقال هل سمعت ان الردم تقاتل بالليل
انما هم مثل الفراخ يبيتوا من العصر فلما ساروا
ومرقوا على الردوم فقال لهم السلطان سليم
ربما جعلوها مكيده لكم وفرح السلطان سليم
بذلك فانه قاسا من شاذ بك مقاسيه وقد
انحمت قلبه وما صدق به حتى رحل عنه فلاذا ل
الامير شاذ بك شادبك سار الى ان وصل
الوراق وكان تتطلع اليها روادا با السلطان
طومان باي نازلاً هناك فلما راوه على البعد
امر السلطان طومان باي جميع من معه من العسكر
ان يذهبوا معه الى ملاقاة الامير شادبك فارس

الزمان فلاقته الامرا باحسن ملتقى ودعوا
له وفرحوا بسلامته فلما قرب من السلطان
اراد ان ينزل عن فرسه فاقسم على السلطان
طومانباي ان لا احدا يترجل عن فرسه فامتثلوا
قوله وسلموا عليه وثم على ظهور خيلهم وسار
السلطان والامير شاذ بك عن يمينه وقيت
الرجبي عن يساره ومن وراهما والامرا فلما
وصل السلطان الى قطاقه ترجل عن جواده
وكذلك الامير شاذ بك وبقية الامرا والاجنا
وجلس السلطان على الارض من غير كرسي وكذلك
بقية الامرا على قدر مراتبهم فقال السلطان
للامير شاذ بك اخبرنا يا امير بما وقع لك
مع من القتل فقال الامير شاذ بك والله يا مولانا
السلطان وقع لنا معهم حرب يشيب لا الاطفال
في المهود ويلين لعظمته الحجر الجلمود وكنا الطايه
عليهم

91

عليهم والغالبين لهم وقد كسرناهم حتى ارمينا هم
في البحر ولكن ما سلمنا من عرب عزاله فانهم
اعاقونا عن طلبنا وصدونا عن مقصدنا
وشغلونا عن غرضنا واني والله العظيم رب زمزم
والحطيم لو ثبت معي الالفين التي خرجت بها
من عندك ما كنت رجعت عنهم فكنت اقسمهم
قسمين قسم يقاتل الروم وقسم يقاتل عرب عزاله
ولكن ما شتتهم الا هذه النار التي يرمونها
فما يشعر الانسان الا وهو مضروب بها فما
يعرف من اين جاته ومابه قتل احد منا
بالسيف الا بهذه البندقة ثم قال له والله
يا مولانا السلطان لو اصاب رايك وبعتنا
بالالفين كنا كسرناهم وكنا اخذنا هم مواسطه
وكانت ارتاحت قلوبنا من هذا العنا ولكن
الله اعلم ان دولتنا ذهبت ايامها وقد مالت ايامها

قد زالت فاني اري الراي الصواب نساه ولا
نذكره حتى يفوت ويمضي حكمه فقال له السلطان
طومان باي دع عنك هذا الافكار وانعم بما
نات واعمد الراي بما هوات فقال الامير قيت
الرحبي صدق السلطان بما قال له اضربوا الكم
راياً منيا تفعلون فان العربان كلها صارت
اعدا لنا وعونا لعدونا وليس فيهم من يقاتل
معنا ابن ما منهم واحد الا وقتلنا له قريبه
او اباه او اخاه فذلك لما كانوا يعصوا علينا
ثم الان كل منهم يطلب لنا ثاره واتا عدونا
جديد فنعطيهم الامان ولا سيما هذان الشقيان
العزالي وخيربك وهما يراسلان العربان
ويقولان لهما هذا ملك عادل مسلم ابن مسلم
الى سابع جد ويحب الخير والانصاف ويبغض
الظلم والاسلامكم سراق وبعد هذا ما بقي لكم

من

92

من الراي الا ان ترسلوا قاصدًا القبيله عزاله
التي هي اشد القبايل علينا وتوعدهم بكل خير
عسي ان يطيعونا ويميلوا الينا وان ابوا فاستعانه
بالله خير لنا من كل احد فعند ذلك امر السلطان
طومان باي بكتابه مرسوم الي عرب عزاله
فاول لما بدا نصيحهم حماد ابن الخبير وخوفهم من
الله ومن غايه النبي وحلف لهم انهم ان اطاعوا
ودخلوا في طاعته لا يقابلهم الا باحسن المقابله
وان لم يفعلوا ذلك يكفونا شرهم قال وكانوا
يجتمعون من بعيد ويرسلوا من ينظر لهم الخبر
فلما ان تقع الكره علي الروم فيرمحون رمحه
واحده علي الجراكسه من خلف ظهرهم فيعيقوهم
عن هزيمة عدوهم فلما ان الجراكسه تري الامر
دهاهم من خلفهم فيرجعون عليهم ليكفوهم عن
انفسهم ويره ومن قدامنا الروم ويره ومن الروم

نبهذه الوسيلة غلبت الروم الجراكسة غاية الغلبة
قال الراوي فلما ان وصل كتاب السلطان طومان
باي الى حماد ابن خبير مع رجل يسمى محمد شيخ الدكاريه
فلما قراه حماد دفعه لاخيه سلام فقراه وعرف
ضميره فقال سلام لمحمد شيخ الدكاريه انت يا محمد
ما تعرف ما جرى بيننا وبينهم وما فعلوا بنا
وكم يعطونا الامان ثم يغدرون فقال محمد
انما كان ذلك من الغوري واما هذا طومان باي
فانه رجل صالح وعبد ناصح وما سمعنا عنه سوءا ابدا
فقال حماد واخيه سلام حتى ننظر العرب ان كانت
تطيعنا على ذلك ثم نادى في الحي لجميع العرب
ان تجتمع الاعيان منهم فلما اجتمعوا قرى عليهم
مكتوب السلطان طومان باي فلما سمعوا قاموا
قومة واحدة وقالوا لا نسمع له ولا نطاعه
ولا بيننا وبينه الا السيف فقال محمد شيخ الدكاريه
يا دحون

93

يا وجوه العرب اما ما قلتم عن الغوري فانه كان
صحيح وانظروا كيف اخذه الله واما هذا الرجل
طومان باي مما سمعنا عنه سوايدًا الا في زمان
الغوري ولا في غيره فقالوا له ان هذه الطايفة
ذلتهم قد زالت ولو قمنا معهم ونصرناهم
لا يفيد ذلك ولكن نحن نجعل لنا يد عند السلطان
سليم فانه صاحب باس شديد فاقصر الجواب
فما بقي لك معنا كلام والسلام ثم ان اسمنم
رجع الى السلطان طومان باي واخبره
فقال لهم الامير شاذ بك قد بان لكم صحة قولي
فقالوا له جميع الامرا والله ان رايك في جميع
الامور صواب في يوم الريدانيه وانت تقول
لا تدفنوا المدافع في الرمل وقبردي الغزالي
يقول الصواب دفنها حتى لا ينظرها احد
وانما كان ذلك منه مكرًا وعنادًا ولا لقاه الله

خيرًا فامنت جميع الامرا على دعايه وكان كذلك
فلم يلق خيرًا الى ان قتل اسوا القتلات وسياتي خبر
قتله فيما بعد فقال السلطان طومان باي الراي
عندي ان نتوكل على الله تعالى والله يويد بنصره
من يشا وكان هذا السلطان طومان باي من
اول سلطنته الى اخر عمره لم يخفا خفا نه من الكتوع
الا قليلا لانه قال لهم يا قوم اننا ثقلنا على
اهل هذه القريه والراي ان نرحل الى ضيعه
فامر السلطان بالرحيل وقام من وقته وعتبه
فقامت جميع الامرا الاعيان المذكورين بلا
فايده في التطويل فما كان الا ساعه حتى وصلوا
دينارو فلقوهم اهلها احسن ملتقى وباتوا تلك
الليله فما اصبح الصباح الا وقد قدم عليهم
خيال من اهل تلك البلاد وهو يصيح الخيل اخذتكم
فما استتم كلامه الا وقد اظلم الوقت من شده الغبار

وركبوا

94

وركبوا وخرجوا الى الحرب والقتال والتقوا
من غير ترتيب فوقع بينهم من الحرب ما يعجز عنه
الواصف فمنه ذر الامير قانصوه العادلي والامير
شادبك راس الامرا وما فعلوا ذلك مع هذه
الجموع واما الامير قيت الرجبي فانه تحارب
مع قنبردي الغزالي في حومة الميدان واقتتلا
قتالا شديدا حتى يحير النظار فيما وقع
بينهم من الحرب ثم تقاربا من بعضهم حتى تقابضا
بالاطواق فلم يقدر قنبردي الغزالي يقلع
قيت الرجبي من سرجه مع انه رجل كبير السن
في عشر التسعين وقد حبسوا في الحبس سنين
ومع ذلك لم يتحرك له ادمان فعلم الغزالي
من نفسه العجز ودخل عليه الجبن فقال في نفسه
اذا كان فعل هذا الشيخ الهرم فكيف لو وقعت
مع شادبك ثم انه جمع نفسه واطلق الامير قيت

الرحبي ثم ابعد عنه واستعدل عليه بطعنة من
قنطاريته من ورا ظهره قلبه عن جواده واراد
ان ينزل اليه ويقطع راسه واذا بفارس خرج
عليه صرخة اذهله وطعنه طعنة اسرع من خروج
السهم من كبد القوس فوقعت في خاصرته اقلبته
عن جواده وانثني راجعا ذلك الفارس الى الحرب
والقتال فالتهى العز الى بنفسه عن قتال الرحبي
فبادر الامير قيت الى حصانه وركبه وركض
الى خلف ذلك الفارس الذي كشف عنه واذا به
الامير شاذي فارس الزمان ففرح له من
صميم قلبه فاراد ان يكون معه في القلب وما زال
يشق الصفوف ويفرق الالوف حتى عجز وكل جواد
وكلت سواعده فلما علم من جواده العجز والتعب
انثني راجعا حتى خرج من المعركة نواحه فسلا
اقبلت من كبد البر لا يحيط بها الحصر واذا بهم عرب
عزاله

95

عزاله مضادنوه على هذه الصفه وقد بطل
حصانه فرشقوه بالحراب ومنع عنه اللبس فصادفه
سهم نوقع على وجهه الثري فنزلت عليه النهابه
تغرده بما كان عليه وقتلوه هذا ما كان من
امر شيت الرجبي واما الغزالي فان مماليكه رعوا
اليه لما رباه الامير شاذبك وحملوا الى
وراحتي ادخلوه في الوطاق واسقوه السكر
ووجدوا واخرجه سليما واما الامير شاذبك
فلازال يقاتل قتال الجبابر حتى كل من تحته
الجواد وتضاعف على الجراكسه المدد والاعداد
وفاض بحر الروم حتى ملا السهل والواد وقصرت
الطايفه الجركسه لتقصير لانه كان ظنهما
العماد وكثر القتل في الجراكسه وزاد عليها
الجمع من العربان التي في تلك البلاد فلم يزالا
في الحرب الشديد اذا لاح لهم غبار وحتى سد

الافطار فتنحا كل فريق عن الاخر حتى يروا
ما تحت ذلك الغبار وما مكثوا غير ساعة وزل
الخيل وهم يصيحون يا لقيس تحت فرسان عزاله ذوا
الكفو الكفاله اليوم تروا يا بني جركس الموت
الاحمر فرتنو وتوا من سيوفنا الوبال الاكبر وكان
المتكلم بهذا الكلام الامير سلام واخيه حماد
اولاد خنير فقصد حماد سلام الامير قا نصوه
كرت فوقع بينهما ما اندان من الحرب يحير النظار وحملت
فرسان عزاله على الجراكسه حمله منكره وكذلك حملت
الروم من الجانب الاخر واخذوهم بواسطة وضايق
الامير سلام كرت قانصوه حتى ازماه البحر وما بقي
معه سوى عشرين نفر من مماليكه والذين مع سلام
نحو الالف واكثر فلما وقع الامير قانصوه كرت في البحر
ثقل على الفرس بلبس الحديد وكان الفرس كل من التعب
فلم يجد له منعه ان يعدي الي ذلك البر فغرق هو وفرسه

وغالب

دَغالب بما لبكه وَذهبُ احتت المشاوات وَما سلم
منهم الا القليلُ وَكان رَحمة الله حسن السيرة حسن
الاخلاق اذا رآه انسان يقول تبارك الخلاق واما
سلام ابن خنير فانه رجع على الجراكسه رجعه وهو
ينادي يا لاخذ الثار فواخذ الامير شادبك
على ما هو عليه من الحرب لله دره من فارس
للاعدا نارس وَفي مَا بين تقاتل الوف فوقعة
الجراكسه في كثرة النقصان فتم في هذه الحاله
واذا بعجاج قد ارتفع وَذلك الغبار قد ثار من
ناحية ارض وردان وهم يصيحون بالنصر الى
عثمان فبقيت الجراكسه لا يعرفون الى من يقاتلوا
والى اين يذهبوا قال صاحب الحديث وان القوم
لما وَصلوا ضربوا ميدانا وكانوا من جماعة الغزالي
ثم ان قانبردي الغزالي برز الى حومة الميدان وَنادي
باعلا صوته يا الجراكس هل من مبارز فما لك

فقال السلطان طومان باي للخاصكي من الذي
بين يديه ابرز له فبرز من وقته وساعته ولما
ولما صار في ساحة الميدان قال له ذلك الفارس
الذي هو قنبردي الغزالي يا خاصكي هل روحك
ضيقت عليك حتى جيت بها الى الهلاك ارجع
الى اهلك فقال له الخاصكي فانت من اين يا احمر
العربان حتى تهددني بهذا الخطاب فان قنبردي
الغزالي لبس لبس العرب وتكلم بكلامهم حتى لم يعرفه
احد فما ظنه الخاصكي الا بدويا من عرب غزاله
ثم ان الخاصكي قام في سرجه وطعنه طعنة بالمزراق
تخرج من يده كالبرق اذا البراق فلما نظرها قنبردي
الغزالي جات بالقصد الى صدره وان توانا
وقع فانحرف لها في ظهر الجواد وخطفها من الهوى
ثم صاح على الخاصكي ادهله وقال له خذ حربتك
فانك مقتول بها وطعنه بها فطش عنها الخاصكي

وتكلم

حضر

97

وضربه عليه حتى استوي علي رجه وعاجله بها
قبل ان ينظرها فوقعت في نحره فوقع الي الارض
طريحا ثم ان قنبردي الغزالي جال في الميدان
وطلب البراز ولم يعرفوه الفرسان الجراكسه
وما ظنوه الا بدويا من الفرسان المجبوره
فانهم لو عرفوه لرموا انفسهم عليه وقطعوه بالسيوف
فانه اول من جانهم واعزي عليهم ولولا هو لا
ما قدر سليم يجون في ارض مصر فان لكل شي افه
من جنسه فان تيمورلنك لما خرج علي الناصر فرج
ابن برقوق احزب اهل الشام وحلب واطلق فيهم
النيران ولكن اذا اراد الله بامر هيا اسبابه
فلا زال قنبردي الغزالي تبرز اليه الفرسان
واحد بعد واحد حتى قتل منهم عشرة فهابته الجراكسه
وقالوا قد تعجبنا من هذا الانسان فما عرفناه هو انسي
ام من الجان فقال لهم قنبردي الغزالي يا الجراكس

ركبوا نفوسكم وابرزوا الى سلطانكم طومان باي
ان لم تقتلني ام اقتله فلما سمع طومان باي كلامه تعجب
منه وقال الا ترون الى قوة هذا الفارس واقدامه
وشجاعته وكثر كلامه فهل فيكم واحد يكفيني شره
فقال له قج انا يا مولانا السلطان فقال له ابرز
اليه وخذ حذرك منه فانني اراه سريع
الحركات ولا يخلوا ان يكون بطلا من الابطال
المخبوره ولولا ان فرسي تعب برزت اليه ولا اظن
فيكم احدا يقاسيه في فروسيته فقال له قج انا
اكفيك شره بعنايه الله تعالى ثم برز اليه قج
وكان من الامرا الالوفين وكان قد تعين له
امير جيه مقدم الف موضع الامير كرتباي الوالي
رحمه الله ولو كان الامير شادبك حاضر في ذلك
الوقت ما كان يبرز الى هذا الفارس فانه
كان من شده محبته له يفديه بنفسه في كل امر
صعبا

صعب

ولو عرفوا ان هذا القرالي ما برز له الي طومان باي
او الامير شادبك فانهما يرجحان عليه في الفروسيه
فلما نزل اليه الامير قلج وحمل عليه فوقع بينهما من
الحرب اندابا حتي تعجبت الناس من هذين الفارسين
ثم ان الامير قلج ضرب قنبردي ضربه فقطعت
الخوده والرفادة والثانيه مخر بحته جرحا خفيفا
وضربه ضربه مثل علي عين الامير قلج فاراها
كما يري القلم فوقعت هي والسيف فانذها وحمل
فاقتحم عليه قنبردي وضربه اطاح راسه عن
جسده فلما عاينت الجراكسه ذلك عز عليهم
قتل الامير قلج وقالوا اما بقا وسا هذا البطل
الا الامير شادبك او طومان باي ثم انه جال
يمينا وشما لا واعجب بنفسه وصار وصار يسب
الجراكسه ويشتمهم ويقول من يقاوم السلطان سليم
او يثبت بين يديه وصار علي هذا الحال ولم يعرفوه

انه الغزالي فقال لهم ان كان سلطانكم فارس
يقاوم الفوارس يبرز الى حومة الميدان وينظر
نفسه ان كان نزح او يقع في لفة الحزان فقال
السلطان طومان باي ها انا قد جيت الى عندك
هات ما عندك من فروسيتك وشجاعتك
لا تبقي تقول ان السلطان طومان باي يخاف
لكن هات ما عندك ثم قال له السلطان
انظر يا ايها الفارس اني لم اتقاتل انا واياك
حتى اتكلم معك كلاما لعل ان يكون فيه
صلاحا لي ولك فقال له قل ما عندك فقال
السلطان طومان باي اريد منك ان تخبرني مولات
اولا وما الذي حملك على قتل فرساني من غير ذنب
سبقت مني اليك فاني والله منذ ما ادركت نفسي
ما اعلم اني بغيت على احد وظلمت وما افتريت
على ذات امر سلطنتي هذه والله ثم والله لم تكن

برادي

99

بمرادي وانما الامير علان والامير كرتباي الوالي
رحمهما الله تعالى والامير شادبك ابقاه الله ارتدوا
وقالوا الا نرضى لهذا الامر الا انت فعلت انه امرا
سلاني لربه واما هذا الرجل سليم الذي يدعي
انت انه ملك عادل وانه لا يحب الجور فكيف انه يجور
ويعتدي علينا ويرمي علينا بالنار والمدافع
والاحجار ويقتل رجالنا ويسبي نساءنا واولادنا
ونحن مسلمين مومنين موحدين قابعين بجماعة الدين
فلما ان بغي علينا وتعدى حده وجب علينا ان نقاتل
عن انفسنا وحريمنا واولادنا وتعانيه لذلك باذن
من الله تعالى كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم
الايه ونحن في الزمن الاول قدرنا عليهم مرارا
وعفونا عنهم والان قدروا فما عفوا وملكوا فما
رحموا وحكموا الحجارة فينا ما لا يفعلوه في عبيد
السلطان وهم حداهم وخيرانهم وانا نحن مسلمين

موحدين فاني سالتك بالله وبمحمد رسول الله
ان تكون معنا او تكون من ذات اخوانا من الان
او نتركنا لا لنا ولا علينا ولا عليهم ونكفينا
شرك وان اخترت الا الحرب والقتال فاني لا
اقاتلك الا ان عرفتني بنفسك فانك قلت لا تريد
الا انا بهانا قد جيتك بنفسي والكشف لثامك
فاني متحير فيك واشكل علي امرك فلا انت بدوي
تعرف ولا اخر لسي تعرف وكلامك لا يشبه كلام العرب
فاني اقسمت عليك بالذي خلقني وخلقك الا
ما اخبرتني من انت فقال له اقسمت بالله الذي
خلقني وخلقك وخلق الخلق اجمعين فلان
اصدقك الحق واعرفك بنفسي ثم كشف لثامه
فاذا هو قنبردي الغزالي فلما راه السلطان
طوماناي غاب صوابه من شدة القهر وقال
له يا ابن الف قرنان ونسل اولاد الزنا اللئام

يا خبيث

ياخبيث

يا ملعون يا ابن الملعون يا خاين يا ابن الخاين
ولهذا بعث الحوان فان الذي صرت من حربه ربيته
بالحنانه فانه اسمه سليم خان ومن خان لا كان
وانت ايضا عاهتنا وخنتنا وعاكستنا واغريت
علينا اعدانا تالله العجب كيف طابت نفسك الخبيثه
بذلك ولكن الله العظيم حيث قال الخبيثات
للخبيثين الايه ثم ان السلطان طومان باي
حمل عليه حملة منكره فما ثبت بين يديه الا وقد
طعنه السلطان طعنة بقنطاريته اقلبه عن ظهر
فرسه ثم وضع القنطاريه على ظهره صدره واراد
ان يقتله بها فقال له اني سالتك بوجه وتوكلت
اليك برسول الله وبسيدي ابي السعود الجارحي
ان تجعلني عتيقك في هذا اليوم فلما سمع السلطان
ذلك القسم رق قلبه وذلك من كمال دينه رحمه
الله تعالى فقال على شرط تكفينا شر العدو الذي

جيت لما اليناو انك لا تستحي في وجه احد من ال
جوكس سيفا فخاف الغزالي على ذالك وقد شدد
عليه في الايمان فعند ذلك رفع السلطان القطا
عن صدره وقال له قم يا خبيث جهها فقام الغزالي
وهو ينفض التراب من على راسه وجا الى رحل
السلطان وقبلها في الركاب وهو يكاد ان يبكي
ونادم على ما فعل وسار الى فرسه وركبه ولفتار
الى جماعته ارجعوا عن القتال فقد حلفت له
اني لا اقاتله واني غيروا في الايمان ولكن اخاف
اذا رجعت اليه يقتلني واني راجع من هنا الى محل
احترقتم منه الحرب وانا غير ملبوسي الذي رايني لابسه
واما السلطان طومان باي فلم ارا الان دولته
قد وليت لانه لو قتلني لاكتفي من شري ولكن هو
هو علي وعفو عني الا انا والله ان قدرت عليه لم اعفو
عنه الا ان وصلنا السكي العظيم ثم قصد الى نحو
صحي

١٥١

صنجق السلطان سليم وفي هذه الساعه وصلت
العساكر التي خلاها السلطان مع الوزير يونس باشا
في مصر لتاعدي الى بر الجيزه الى قتال الامير شادبك
وكان السبب في قدومهم مكاتبه ارسلها يونس باشا في الليله
الماضيه يامر بان تعدي من بر انبابه بجميع من معه
من العسكر فلما وصلت هذه العساكر في تلك الساعه
اشتد ظهره وقويت نفسه واما السلطان طومان باي
فانه لما عمي عن القرالي ورجع الى الصحقة فلم يرا
تحته الا القلايل مما سلكه من ونقبيا لامر اذ شتتوا في
الحرب والقتال ولكن الكثره غلبت الشجاعه فنه
ذرهم من فيه قليله غلبت فيه كثيره والعسكر لا نعلم
لها اقل من اخر فاندهشوا وتحيروا في امورهم
وقال الحفوا الامير شادبك والامير قانصوه العادلي
يا الجركس اثبتوا فان القتال ليس بكثرة العدد
والمدد وانما هو بزيادة الصبر والجلد واثراوا

قوله تعالى كم من فيه قليله غلبت فيه كثيره باذن الله
والله مع الصابرين وها انا امامكم وقد يد تحضره
السلطان طومان باي نصره الله يرد عنكم ودونكم
والحرب فنادمنا في سيد الحياه فلا تخافوا من احد
ولا يغركم كثرتهم فاني وعزة الله لولا هذه النار
معهم لقاتلتهم بنفسي ولا اترك منهم فاني ما اعجبني
ولا فارسي لولا هذه المدافع والنار ما ثبتوا بين
الدينا وقد قالت العارفين الشجاعه صبر ساعه
قال صاحب الحديث ثم ان السلطان سليم لما
عاين من الجراكسه زياده الصبر والجلد فتعجب منهم
غايه العجب وقال والله ان هذا القوم لا يطاقون
ولو اني علمت انهم بهذه الصفه ما دخلت بلادهم
ولا حاربتهم ولكن ما اظن الا ان هذا الامر
قدره الله تعالى في القدم ثم اخذ في تدبير
المكر والحيل فاقتضى رايه ان يامر باحضار سيدي

محمد

102

محمد ابن المرحوم الغوري رحمه الله تعالى وانزد
له صنجقا وارسل معه جماعة وامره ان يقارب
عسكر الجراكسه ثم ينادي المنادي من قبله يا ال
جركس كل من دخل تحت صنجقنا كان امنا على نفسه
وماله وعياله فتعل فلم يجبه احد لشده ما هم فيه
من الحرب والكرب قال الراوي فلما وصل سيدي محمد
الى السلطان سليم وقال له لقد دعوت فلم وجدت
ملبيا وسكت فما وجدت مناديا ففهم السلطان سليم
ذلك وعلم انها نوبته صعبه وان هذا اليوم ما
بعده يوم اما له واما عليه وانه متى حصل له
النصر من هذا اليوم لم تقم للجراكسه بعد قايمه
ولا تقم لهم راس وان تحصل لهم النصر قد ذهبت روحه
قال الراوي ثم وقعت جموع الروم وعيت وتقهقرت ودا سوا
بعضهم البعض وان الامير شاذ بك ومن معه من
الاعيان الذين تقدم ذكرهم اتفقوا ان يكونوا على

قلب رجل واحد لا يخرج منهم احد وصاروا كلما
راوا الروسا من الروم قد تقدم من المحرك لمحاطين
عليه فيه ذرهم من فرسان يقاتلون الوف ولا يعتنون
بهم ثم لولا هذه النيران والا ما كانت الروم قدروا
عليهم في هذه الاحوال واستبشرت العساكر بالنصر
واذا بغبار قد ثار من جهة الميمنة فنظروا اليه واذا
بصياح اخر وغبار قد ثار من جهة الميسرة ثم بصياح
اخر من خلف ظهورهم فتحير واني انقسم الى ان يذهبون
وسبب ذلك ان قنبردي الغزالي لما رجع منهزما
من السلطان طومان باي الى السلطان سليم
واخبر بانه صدمهم وقتل منهم عشر فرسان ولكن
طومان باي وشاه بك وقاضوا العادل عجزوني
عن مرادي فاخترت الرجوع اليك فلعل ان يكون
النصر لنا فقال له السلطان سليم ماهو يا تي
منصور قال له تامر بان اغات الانكشارية ان

يذهب

اذهب

ان يذهب من جهة وانا من جهة الحرى وتامر

وتامر يونس باشا ان يذهب من جهة اخرى بمن

معه من العساكر وانت بمن معك من جهة اخرى

ونطبق عليهم فانهم فيه قليله ولولا ان فيهم هذه

الفرسان المخبره فالاماكانوا اشتوا معنا ولا ساعه

واحده فقال له السلطان نعم الراي والرجوا ان يكون

فيه النصر ثم امر بما اشار به قنبردي الغزالي ثم مضى

عنه ساعه حتى تدرقوا ثم احاطوا بالجراكسه من كل جهه

وجانب وكان عرب عرب غزاله هذه دز السلطان

طومان باى والامير شادبك وقانصوا العادلي

ويحيى ابن الامير ازبك وراس الحلبان ودولتباى

ورمكن النائف وما فعلوا هذه الفرسان القليله

مع الوف مولفه وما فعلوا فصارت هذه الامرا

المذكورين متحدين الركاب في الركاب لا يفارقون

بعضهم بعضا وهم دايرين في وسط هذه العساكر

لا يدرون اين يذهبون ولولا هذه النيران والا
ما كان لهم حال وما قتل احد من الجراكسة لا بسيف
ولا عود واما الامرا المذكورين لم يخرج منهم احد
فانهم كانوا اذا امروا على كردوس اهلكوه ولا يغلب
الله غالب ولكن في هذا اليوم قتل من الجراكسة
اكثر من كل يوم بهذه الحيلة الذي عملها افندي
الغزالي فما تم النهار الا والمنادي في الحرب
بالانفصال وافترقوا على هذا الحال وقد قلت
الجراكسة عن بعضها ورجعوا وهم لا يعرفون بعضهم
بعضا من شدة ما حصل لهم في ذلك اليوم وليس
الخبر كالعيان قال الراوي فنزل السلطان سليم
على قريته وردان ونزل السلطان طومان باي
على قرية اسفل منها على شاطي النيل السعيد حيث
ان كل عسكر ينظر للاخر وباتوا تلك الليلة في اسوا
الاحوال من شدة ما حصل لهم القتل ثم صلوا العيد

١٥٧

ما اكلوا الطعام الذي جاهم من القريه فاخذوا في ضرب
الراي والله يا اخواني ما اظن الا ان دولتنا قد مالت
واني اراي كلما فعلنا شيا نريد ان يكون فيه صلاحنا
فما يكون فيه الا ضده ولا اري اعدانا كلما لهم
يزيدوا والغالب علي ظني بان زوال ملكنا والظفر
لعدونا فانظروا الي قول القايل شعر
ان اقبل السعد قم قاعا او اقتبس من الشيخ نارا او ان
رقد السعد ارقد سه فما المجري في الفلك الا اختارا ثم
انه قال لهم يا قوم هذه الوقعة قد اضرت بنا وهدمت
معقد الامير فاز صوكرت دلسا ولا بقي راي الا ان
حسن بن مرعي وابن عمه سقر شيوخ عربان محارب
وانا قد ولتيم عليهم واطلقت حسن بن مرعي من
الحبس بعد ان كان المرحوم السلطان الغوري
حبسه وكتب علي قيده مخلد وقد اطلقته لما صار
الامر لي واخذت عليه العهود والمواثيق والايما نات

المغالطه انه يكون معنى ظاهرا وباطنا ويكون معنى
بالقلب والقالب اذا احتاج الامر الى ذلك وسائر
احسن من سيرنا اليه ونكون نحن واياه على قلب
رجل واحد [illegible] تدبير امرنا وننظر ما يكون من جانب
الله تعالى فان الامر كله لله وهم باغين والباغى له
مصرع ثم انه امر بالرحيل في وقته وكان الوقت
نصف الليل فقال له بعضهم ان قام علينا العدو
في هذا الليل فقال هل رايت الروم يقاتلون
بالليل فهذا الامر لا يكون وانما اعتاد هذا القوم
على رمي البندق فما كان الا ساعه حتى ركبوا
وساروا من وقتهم وهم مستيقظين لانفسهم حتى
وصلوا الى مدينة سيحا وكان حسن ابن مرعي
وابن عمته سفر قاطنين لها وعربهم منتشرين لها
فلما نظروا الى خيل السلطان طومان باي قد اقبلت
تبادرت اليه الفرسان وسادات القبيله وركب الامير

حسن

105

حسن بن مرعي حتى قارب السلطان طومانباي
فترحل عن جراده هو واولاده وعشيرته ثم وقدم
على السلطان وقبل رجله في الركاب وطلب من
ان ينزل الى منزله في الضيافه فقال له ما لكن ناضين
للضيافه ولا لغيرها فان العدو في اثرانا وقامت
علينا العربان من عرب عزاله لا لقاهم الله خيرا وخصوصا
سلام ابن خبير لا لحمه الله لخير فما جيت الا لتنظر لنا
محل يحمي بو ثم نذبر امورنا فيه فقال له الامير حسن اذا
كان الامر كذلك اعرف لكم محلا يقال له الغابه
وهو وادي كبير واسع وافر المياه اذا تحصن فيه القوم
ووقف على بابه رجل واحد لا يمكن ان يدخل منا
اثنين يمنع من يدخل ولو كانوا الوفا من الناس فان
هذا الوادي لا يمكن ان يدخله غير فارس واحد
ولا يدخل منه اثنين متساويين لانه ضيق حجرا
ومن الارض ارض نربو ابحه كل من زلت قدمه ودانى

عليها تماصت به وهجس في نفسه انه لا يحصل له من هذا
الوادي خير ثم قال له وهذا الوادي هو قلعتنا اذا قصدنا
احد من اعدائنا وعلمنا انه لا قدرة له علينا فنذهب
الي هذا الوادي ونامن علي نفوسنا ثم لكم يا مولانا
السلطان اعدل منه ولا احصن فقال له السلطان
اركب وسير بنا علي بركة الله تعالي لعل ان نخص به
وما يكون الامما يريد ربنا وسار وامن ووقتهم حتي وصلوا
الي فم الوادي فوقف حسن ابن مرعي وقال له يا مولانا
السلطان هذا باب الوادي الذي يدخل منه السنه
فوقف السلطان وقد غطس قلبه وانقبض خاطره
وهجس في نفسه انه لا يحصل له من هذا الوادي خير ابدا
فحبس فرسه ووقف في مكانه وتحير في امره والتفت الي
امرا دولته وقال لهم اني مخبركم بما رايته من قيمة
يومين رايت نفسي في هذا الوادي وانا علي جانب
البحر المالح وقد قامت فرسة عظيمة واظلمت الدنيا

ولا

106

ولا بقي احد مع احد واذا بخمس كلاب سود وقد احاطت
بي واراد ان تفترسني فجذبت سيفي واردت ان اضربهم
فتطار من يدي وسقطت عمامتي ودقت الكلاب في
ونبضوا علي وضربني بينهم كقطعة اللحم كل واحد
ماسك من ناحية فايست من نفسي فانتبهت مرعوبا
وقد عمني العرق فلما سمعوا الامرا منه هذا المنام
تشوشت خواطرهم فقال بعضهم ان هذه الرويا
لا تدل على خير وان هذا مما يدل على الظفر لعدونا
والنصر لهم علينا فان وقوع العمامة علامة على
زوال المنصب واما قيام البحر فانه قيام هذا
السلطان علينا واما عدم السيف فانه يدل على
عدم واما الكلاب فانهم رووس الاعدا ينتبضون
عليك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فان صحت
هذه الرويه فقد والله زالت دولتنا وانقضت
مدتنا فقال لهم السلطان طومان باي ما بقي لنا حيلة

يختار الحجاب لا منعة نستعين وقد قاتلنا حتي تلفت
نفسنا وتثلمت سيوفنا وقد قامت الدنيا كلها علينا
فماذا عسي ان نصنع فاما ان تتعدا ردت ان اسلم نفسي
فان كان بقي في عمري بقيه فانهم يعطوني الامان وان
كان قد فرغ وان كنت علي فراشي فاموت واما انتم
يا اغاوات فقد جا الليل فاليذهب كل واحد منكم
الي حيث شا واراد فلما طال الوقوف قال الامير
حسن بن مرعي يا مولانا السلطان اني اخاف عليكم
ربما العدو يكون قريبا منكم فيغير عليكم الدخول
من ضيق فم الوادي فادخلوا علي بركة الله تعالي
ثم بعد ذلك اجلسوا واستريحوا ودبروا امركم كيف تختاروا
قال الراوي فدخل السلطان طومان باي من باب
الوادي ودخلوا وراه الامرا وبقية الاجناد فقال
فتلو الامرا الحق معك لا نفارقك حتي تذهب رواحنا
فلا زال العم حسن ابن مرعي حتي اوصلهم الي صدر الوادي

فضربوا

١٥

وضربوا للسلطان خيمة على تل عالي وجانب البحر المالح

ونزلت بقية الامرا في خيمتهم فما هدت نفوسهم حتى

جاء السلطان مضرب الراي واما حسن بن مرعي

فانه اخذ من السلطان اذنا ان يرجع الى بلاده ويأخذ

لهم الاخبار ثم يرسل يخبرهم بما يقع على التفصيل فاذن

له السلطان في ذلك ودعي له ثم قال السلطان للامرا ان

هذا الوادي خير لنا من قلعتنا التي كنا بها اما انهم

نحنا حسن ابن مرعي فقالت الامرا عن لسان واحد

الله يخون الخاين فلما رجع حسن ودخل الى منزله

سالته امه عن السلطان وما كان باي فقال لها

قد اذخلته في وادي الغابه وها انا قد رجعت

فقالت له انا الذي يجب ان تصنع اخبرني عما في

ضميرك فقال لها ان هولا القوم دولتهم قد زالت

وامورهم قد حالت لاسيما وعدوهم قد ملك البلاد

وحكم العباد وولي وعزل من اراد وهولا لم يبقى لهم

من الامر شي ابدا الا ظهر رخلهم وقد احترت في امري
فان قاتلت عنهم فلا قدرة لي على ذلك وان قاتلت
معهم فقدنا وقعت في المهالك فقالت له امه وكانت
من الصالحات يا ولدي فالايمان والعهود التي
حلفتها انت وابن عمك له ما تقول فيها فقال لها
ولهذا اني متحير في نفسي فهو في هذا الكلام مع
والدته واذا ابشر بان القبيله قد جات مرعه وهم
ينادون اركب يا امير حسن فانا ننظر على جراد
وخيل ملان الاقطار فركب حسن وسار حتى اجتمع
باول الخيل القادمين واذا بهم عسكر سليم خان
في طلب السلطان طومان باي وكان السبب في ذلك
ان السلطان طومان باي لما دخل في الليل كما تقدم
ولم يشعر له احد وطلع النهار ودخل السلطان وحوله
اكابر دولته فقيل له انه نصف الليل قام هو ومن معه
خمسة انفار من مماليكه وتبع السلطان طومان باي

وجا الامير خاير بك ولم يات قنبردي الغزالي بانابه فقال عنه السلطان قد صح

فهو

108

فهو الى الان لم ياتِ فخاف عليه السلطان سليم وقال
لخيربك انظر الى قلة عقل صاحبك كيف يخاطر بنفسه
ناتهم ان العطشوا بهم لا ينجوا منهم ابدًا او انه لمن قتل ليبطل
امرنا وخشي السلطان ان يطيل عليه الامر وحسب
حسابا الاعادي الذي حول القسطنطينيه انهم
ان قاموا علي البلاد كيف يفعل وقال لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم قد عزرنا بانفسنا وجونا
في هذه البلاد فما الراي عندكم قالوا الراي فيما
يراه الخنكار فاطرق براسه متفكرًا فيما يفعل واذا
واذا ابقنبردي الغزالي قد اقبل فلما حضر بين يدي
السلطان قال له اين كنت يا امير قد تشوش خاطري
عليك غاية التشويش فاخبرني بما عولت عليه قال
اني نصف الليل لما ان رحل طومان باي احببت
ان انظر الى اين يذهب فركبت وتبعتهم على بعد
وحسبت ان يدوروا ويأتونا من خلفنا ويكبسوا علينا

نزايتهم قد ساروا الى نواحي البحيره او الغربيه فلما
سمع السلطان سليم هذا الكلام قال له فما الراي
قال الراي عندي ان تعطيني من العسكر ما اريد
ويكون صحبتي الامير خاير بك وارح نفسك وارجوا
ان لا ارجع لك الا به قال له السلطان هذا العسكر
بين يديك خذ معك من شيت منهم فاختار ان
اياس اغات الانكشاريه باربعة الاف معه
وخير بك باربعة الاف خيال فامر السلطان سليم
بذلك وامر ان يكون التوار عليهم فرحات باشا
وخاير بك والغز الى تحت ليوم وساروا ورا السلطان
طومان باي وهم يسالون من البلاد حتى نزلوا على قرية
محارب فخرج لهم حسن بن مرعي كما تقدم فلما اجتمع
لهم قالوا له اننا سايرين في طلب السلطان طومان
باي هل سمعتم عنه خبرا او الى اين ذهب فقال لهم
الذي يدلكم عليه ويسلمه لكم من غير حرب ولا قتال

ماذا يكون له عندكم قالوا له ان اردت شارطناك
على ما تريد وان جعلت الامر لنا والسلطانا وكان الذي
يحصل لك فالكثير مما تومل فقال لهم على تسليمه اليكم
واجعل الامر عندكم فضمن له الوزير فرحات باشا
ان يقدمه عند السلطان على جميع مشايخ العربان
وان يعطيه ارضه اقطاعا الى ان يموت لا يوخذ منه
الدرهم الفرد ثم ان الوزير خلع عليه قفطانا مذهبا
من الخلع السلطانيه وايضا ابن عمه شكر ووعدهما
بكل خير ثم خرج حسن بن مرعي وابن عمه وهما
فرحانين حتى دخل حسن على والدته فقالت له
ما هذه الخلعة فاخبرها بما وقع له وانه التزم
لهم انه يسلمهم السلطان طومان باي فقالت له يا ولدي
انسيت ما فعل معك السلطان طومان باي وقد
اطلقك من الحبس وامنك بعد الخوف وحلفت له
الايمان المغلظة انك ما تخونه فكان جزاوه منك

ان تسلمه لعدوه و تظن انك اذا فعلت ذلك لا عصي
عليك عصيه تكون سببا لهلاكك فقال لها فما الذي
افعله و قد رهنت لساني معهم باني اسلمه لهم و ان لم
افعل ذلك و الا ما اسلم من شرهم و ربما يبطشون
بي فلا تنفعني لا انت و لا هو فقالت له ان الراي
الصواب ان ترسل فارسا للسلطان طومان باي
اخبره عاد فيع و انه يكون و ان شا هرب الي جهه اخري
و اما انت فارجع اليهم و شاغلهم بالكلام الي ان
يطيب الطعام فبينما يا كلوا ايكون طومان باي
قد عدى بلاد بعيده او يكون تهيا للحرب فتخلص
انت من الجهتين فوافقها علي ذلك و خرج و هو
متردد و كيف يصنع تجاه الشيطان اللعين و قال
له ابن عقلك تقتدي بالنسا الناقصات عقل
و دين و تترك ما يحصل من السلطان سليم من الجاه
و العز و التحرير العرباه بسبب من عذرت به الايام
و الليالي

خارجا انها تنفعه فما اقتنع عليه من عندها

١١٥

والليالي وفادنت دولته وانقضت مدته وان لم امسكه انا مسكه غيري وفاز بالفخر وليس هذا من الصواب ثم انه اجتمع بابن عمه شكر واخبره بما قالت له امه فقال له وهل عاقل يبيع بما حله بلا حال ولا يميل الى الكفة الناقصة فيحل به الخزان ثم انهم اتفقوا على ان يكونوا مع السلطان سليم واما السلطان طومان باي فانه قال للامرا انى اريد ان اخبركم بما رايت في تلك الليلة رايت ان قايلا يقول لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤك السلام ويقول لك ان دولتكم قد زالت وعمرك قد فرغ وانت جارنا في الجنة بعد اربعة ايام ارجع عن القتال فلا فايدة لك فيه وانا قد عزمت على رمي سيفي هذا في البحر المالح وقال لهم كل واحد منكم يذهب الى حيث اراد هذا اخر اجتماعنا في الدنيا والقيامة تجمعنا في الاخرة بين يدي احكم الحاكمين

قال الناقل لهذا التاريخ وهو الشيخ احمد بن زنبل المحلي الرمال
فهم في هذا الكلام الا وقد راوا الخيل اقبلت
عليهم من بعيد فقامت الامرا كلهم على ساق وركب
الامير شاذ بك وبقية الامرا واتباعهم وحطموا
على عدوهم بقلوب كالحديد ولكن العدو كثير
وهم طائفة قليلة لاكنهم فرسان عارفين بركوب
الخيل واوليك عارفين فاين من ذلك اعتمادهم النار
وما فيهم من يعرف الخياله الا خاير بك والغزالي
فلما راهم الغزالي حطموا عليهم فقال لهم افتحوا لهم
طريق ريحونا من شرهم حيث ان طومانباي ليس هو
معهم فصار كل واحد من الامرا يضرب بسيفه ويقتل
من تعرض له الى ان وصلوا الى العلم الرومي
من مضيق الغبار الى ان براها واما قانصوه
العادلي فانه ذهب الى اصهان من عرب قطان
وكان منهم نحو الالفين فارس راكبة مع القبايل

التي

١١١

التي جات لحضرة السلطان طومان باي فلما
رآه ترك القتال وفعل بنفسه هذا الفعال
نزلوه واخذوا اصهرهم ورجعوا وصحبتهم سيدي
يحيي ابن الامير ملك واما الامير شادبك الاعور
فانه خرج من الغابه وتبعه اثنين من مماليكه
وكان بينه وبين الامير احمد بن بقر شيخ العرب
صحبة بحيث ان الامير احمد هذا اذا كان جا الى مصر
لا ينزل الا في بيت الامير شادبك فيقوم له احسن
قيام ويكرمه احسن اكرام ويلبس الخبر كالعادة
ويقضي له جميع مصالحه من جانب السلطنه ويقوم
في باحسه على اعدايه حتى ان الناس كانت تقول
لولا الامير شادبك على احمد ابن بقر لاما كان
له حال ويتعجبون من محبته له والقيام له بشانه
ويحسدونه على ذلك غاية الحسد حتى ان الامير
شادبك كان يقول له يا امير احمد طول ما راسي

تعيش لا يحمل هم ابدًا ولا يحب حساب احد ولا السلطان
الكبير فان الامير شادبك كان يحب حساب اقرانه
لئلا يسعوا في هلاكه فانه كان فريد عصره في الفروسيه
وركوب الخيل وكان اذا نزل في الميدان عند لعب
الحريد في الاماره لم يعرف احد يعلم عليه وكان
يقول في نفسه انه اذا حصل له مضايقه من السلطان
او من احد من الاعيان يذهب الى صديقه الامير
احمد ابن بقر ويدبر امره فلما كان كذلك من امر
السلطان طومانباي وتركه للقتال وتسليم نفسه
لعدوه وخرج الامير شادبك من القاهره قال
في نفسه ما لي اوفق من ان اسير الى صاحبي الامير
احمد ابن بقر وانزل عنده حتى ادبر امري فيما افعل
اما اني اسافر الى بلاد العجم واكون مع سلطانهم
او اسافر الى بلاد اليمن ولله التدبير فيما يريد المثل
يقول له تحذر من صديقك من صديقك كل يوم

دبا

112

وبالاسرار لا نركن اليه لمن من العدو وحادهاني
سوى من كان معتمدى عليه فلازال الساير من بلد
الى بلد والدنيا كلها قايمة على ساق والعربان هلحب
والدنيا ماحب وصار كل مغعول جايز وكل من له
عدو وقصد فنا ان ظفر به قتله والناس مرتابين
من بعضهم من شدة ما حصل فلازال الساير حتى وصل
الى النيل السعيد وعدى منه الى بر الشرقية
ثم سار الى ان وصل الى الامير احمد ابن بقر اخر
النهار وجده في ميت غمر فرحب به وانزله في بيته
واكرمه غاية الاكرام ثم احكي للامير احمد ما وقع
لهم مع عدوهم من الاذات للاخر ثم كلهم اجمعوا
ان السلطان طومان باي احطى في هذه الفعلة
التي فعلها وتسليم نفسه لعدوه وتحكمه فيه كيف
شا واوري الهوان بعد العز ولو كان قاتل الى ان
يقتل ولا يسلم نفسه فانهم لا يبقون عليه ابدا وتبقى

الاهانه والبهدله فايزة وشماتة الاعدا السخم والنفس
فقال الامير شادبك قد تم الامر وذهبت دولتنا
وما بقي كلام الا التدبير في المسير من هذه البلاد
وقصد ان يرسل ان ياتي بحريمه وولده ويخرج نقصد
بلادا غير هذه البلاد فقال له الامير احمد يا امير
تالت العارفين من ناني نال ما يتمني اصبر حتى
ما يتم لك الامر عليه قال له الامير شادبك اين
عقلك حتى ان السلطان طومان باي سلم نفسه لعدو
هل بقي بعد ذلك شي في غدا تاتيك الاخبار بانه
قد صلب على باب زويله او علقت راسه عليه هذا
ما جري للامير شادبك واما السلطان طومان
طومان باي فانه بقي فريدا وحيدا او قد رمي
جميع عدته وسلاحه ولبسه في البحر المالح حتى زرده
الصفح الفولاد الذي ليس له نظير في الدنيا والقطا
المفرده حتى الطير الجناح الذي لم يسمع الزمان بمثله
فانه

١١٩

فانه كان صاعقة من الصواعق لا يضرب به على حديد
الا قطعه ولا حجرا الا فلقه فكان من تحف الملوك القدما
فعند ذلك حطمت عليه العساكر وتقدمهم اغات الانكشارية
وخاير بك والغزالي وحسن ابن مرعي فاقتضى رايهم
انهم يقبضون عليه حيا ويأتون به الى السلطان سليم يفعل
به ما يختار ثم امر جميع العسكر ان يغمدوا اسيوفهم فانه
فدى سلاحه ولا بقي معه احد يقاتل ففعلوا
كما امر ثم حلقوا عليه من كل جانب فصار بينهم كالسبع
الذي وقع في الشرك فعند ذلك نزل اياس اغا
وخاير بك والغزالي وجاوا اليه فقال له اياس
اغا احمل يدك اليمنى على يدك اليسرى يا مولانا
ولا تواخذني في ذلك ففعل وربطوهما من قدام
واوثقوهما فان الاعيان لا يكتفوا الا من قدام
ثم قدموا له بغله وركبوه عليها وقيدوه من تحت
بطنها واحاطت به الانكشارية وبقية العساكر

وحدوا في التسير كانهم وقعوا بفريسة عظيمة اولقيه
ولوا امكنهم ان يطيروا الطارو فاخذ يتكلم مع
الانكتارية وسالهم عن حالهم وعن قدر جوامكم
فقالوا الكل واحد منا سته عثامنه فقال لهم وانتم
جيتم من بلادكم الى هنا لاجل ذلك فقالوا له نعم
فقال لهم بارك الله فيكم ولهذا اغلب سلطانكم
لطاعتكم له على هذا القدر اليسير والله ان جامكية
احدكم لا تلحق تكون جامكية سايس من سياسنا والله
ثم والله لو تكونوا عسكري لجعلت لكل منكم دينارا
في كل يوم فمالت قلوبهم اليه لما سمعوا منه هذا الكلا
فقالوا لبعضهم هذا الراي نطلق هذا الرجل ونكون
اعوانا له وناخذ كل واحد منا دينار في كل يوم
ونصير عنده في اعز ما يكون فمنهم من استصوب ذلك
الكلام ومنهم من قال لا يغركم هذا الكلام فانه ما
قال لكم ذلك الا لما راي نفسه وقع في ايديكم
وصل

١١٧

وهل يكون هذا قط ان يصير لكل واحد منا دينار
ووقع منهم الخلف والهرج ومازالوا به سايرين حتى
وصلوا الى وطاق السلطان سليم وقد كانوا ارسلوا
يو لاتيان وقت قبضهم عليه يبشروا السلطان سليم
بانهم مسكوه سكابا البيد واعلموه كيف كان قبضهم عليه
عليه وان شيخ العرب حسن بن مرعي هو الذي كان
السبب في ذلك لانه ما دلهم علي موضعه الاهو وانه
حسن له عبارة في دخوله في هذا الوادي وحسبه
منه وانه سيحتق كل خير فلولاه ما عرفنا له موضع
وذكروا للسلطان جميع ما وقع وانهم قادمين به
في القيد والبند بعدان كان رما سلاحه في البحر
المالح وسلم نفسه بالامان وقد تشتت جميع عسكره
ومسكناه وهو واقف على تل غالي بمفرده ففرح
السلطان سليم بذلك وقال الان ملكت مصر
وما علم انه بقي من عمره ثلاث سنوات بعدان رجع

الى بلاده ضربه الله بفرخ جمر يعذب به الملعون المذكور

قال فنام النهار الاول وتراقبت العساكر ولها صحيج

فقام وطاف السلطان على ساق حتى ان السلطان

ارتاب من ذلك وظن ان العدو قد هجم عليه وطائفه

فقالوا له البشاره هذا اياس اغا والغزالي وخاير بك

قد جاو بغير عيك فلما وصلوا الى خيمه السلطان خرج

لهم الوزير الاعظم وامرهم ان ينزلوا السلطان

طومان باي وحلوا اكتافه وبفكوا ايديه وينادوا

في حقه ففعلوا ما امر واحاطوا به من كل جانب وهم

شاهرين السلاح ثم دخل اياس اغا وخير بك

والغزالي على السلطان سليم واخبروه بالواقعه

من اولها الى اخرها وليس في الاعاده افاده

فلما اصبح الله بالصباح امر السلطان بعمل ديوان

واظهر ما عنده من التحف ورتبوا احسن ترتيب

واحضر جميع العساكر ووقفوا ميمنة وميسرة ووقفت

الانكشا

١١٥

الانكشاريه صفوفا على احسن ترتيب ثم امر باحضار

السلطان طومان باي دحسن بن مرعي فلما دخلوا

به على السلطان سليم سلم عليه بسلام الملوك فرد

عليه السلطان سليم السلام ولم ينقص من مقامه

شيا ثم امره بالجلوس فجلس وهو في غايه الندم على

ما فعل وقال اني كنت طيرا طايرا وكانت الارض

واسعه ادهى الى حيث اريد واختار واسلمت روحي لعدو

سيدي بسما كانت فعله وحيثهم والموت والذله

كل ذلك خطر في نفسه وهو جالس لا يتكلم ولا احد

يتكلم ولا يرفع راسه فنظره السلطان وتامله

بعين الفراسه فوجد كل شي فيه يشهد له بالشجاعه

والفروسيه وكمال العقل شاهد له فتعجب السلطان

السلطان سليم كيف سلم نفسه بغير حرب ولا قتال

ولم يكن فيه شي يشهد له بانه جبان ابدا بل انه

اذا راه من لا يعرفه يشهد له بانه شجاع ثم ان السلطان

سليم

قال في نفسه انما هذا امر سماوي اصابه وطالع
نحس غريب غير صواب حتي ارمي سلاحه وسلم نفسه
مع انه قاتل قتال الجبابره والا لو هرب كانت الدنيا
واسعه بين يديه اينما شا ذهب وحيث طلب هرب
ثم التفت وقال له يا طومان باي كم نهينا ك عن
القتال وعن سفك دما المسلمين اولها اني ارسلت
اليك من الشام ان تجعل السكه والخطبه باسمي وانت
مقيم علي ملك مصر وانا ظهرك ومعينك علي ساير
ملوك الارض فابيت ذلك وقتلت رسلي والرسول
لا يقتل ثم ترتب عساكري لقتالك وهزمناك الي
الصعيد وارسلت اليك الصعيد رسلا وهم
قضاة بلدكم فلا تقبل الصلح وقتلت القضاه وتعديت
وتعديت شيم الملوك الكرام تقتل الرسل اولا وثانيا ثم
عاتبه عتابا كثيرا فقال له السلطان طومان باي
والله انه لم يكن شيا من امري ولا بخاطري ابدا

واني

واني والله لما ارسلت الي من الشام الكرمت الرسل
وامرت بنزولهم في دار الضيافه وفي نيتي ان افعل
ما يجب وارد الجواب كما امرتني فلاقاهم الامير علان
ثابر بن الي بيت الضيافه فقتلهم فلما بلغني ذلك
عسر علي وكذلك الرسل الذي ارسلتهم جرالي في جمعهم
كما جرى في حق غيرهم من غير رضاي وكل هذا ليس
بامري ولا باارادتي وانما اجرته المقادير من
الرب القدير حتى تجري الامور على ما كتب من يوم
الازل بان دولتنا زالت وادبرت ودولتكم جات
واقبلت وهذا شي كتبه الله في القدم وجرى به
القلم ودارت به الافلاك وسارت به الكواكب
ولما اراد الله فلا مرد له ولا تعلل لله غالب تبارك
الله رب الافلاك والكواكب ولولا ذلك ما قدرت
انت ولا اخلافك على اخذ بلادنا فانه لو كان ذلك
بالقوه والشجاعه ما كنت اقوى منا ولا اشجع وهل

رايت بعينك كيف فعلت وكيف قاتلت عسكرك
وكيف كسرتهم كذا الكذا امره ولم يبق واحد منهم يرى
لا سيف ولا بعود واما قولك انك كنت تريد ان
السكه والخطبه باسمك وانت راس الملوك فانا
والله ما احد ن برغبة مني وانما عسكري وقوي
اختاروني ان اكون انا السلطان عليهم لما علموا
زهدي في ذلك فلما ان تقلدت ذلك وجب علي
ان ادافع عنهم واما انت فانا فيما املك في حظ انسك
لس الا وكنت وانتم مسلمين فكيف تستحل قتل المسلمين
وتري عليهم هذه المدافع والنيران كيف بك اذا
وقفت بين يدي رب العالمين فما جوابك وكل
ذلك وان تعاظم ملكه محض عبد اصغر فما انا وانت
الا من جملة العبيد فتعجب السلطان سليم من فصاحته
وبلاغته وحسن معرفته ثم قال له اللهم اني
قد حفظ نفسي كما قلت فانت وقومك فما قتلت

من عسكري

١٢٦

من عسكري كل مسلم وابن مسلم الوقي مولعه فما
جوابك عند الله قال له مرعا الله سبحانه وتعالى
اجازلي بذلك حيث قال فمن اعتدى الايه وانتم
اعتديتوا علينا اللهم ان العزري وقع بينك وبينه
التنافس ودخل الشيطان بينكم ودمة الاعادي بينكم
وختم الله بالسعاده وتنفق انت واياه بين يدي
رب العالمين واحكم واما انا فليس بيني وبينك
عداوه ولا احدا من عسكرك ولا غيرهم قال له السلطان
سليم والله ما كان قصدي اذيتك ونويت الرجوع
من حلب ولو اطعتني من الاول وحملت السكة والخطبة
باسمي لاجيتك ولادسته ارضك فقال له الاتقى الذي
رسيت في العز لا نتبل الذل هل لو ارسلت لك انا
وامرتك ان تكون تحت امري كنت ترضى بذلك لا
انت افرس مني ولا اشجع ولكن يا اصبر عليك الاهدن
الشياطين حيريك والعرالي فان لو كان فيها اخير

كان لنا فقال السلطان للحاضرين والله ان مثل
هذا لا يقتل ولكن احزوه في الترسيم حتى تنظر في
امره فاخذه اياس اغا وذهب له الى خيمته واخذ
السلطان يتكلم مع الحاضرين في شانه واذا بالبشاره
قد جات من عند الامير احمد ابن بقر انه قبض على
الامير شادبك الاعور وانهم ياخذه فازداد
فرح السلطان بذلك وقال من يذهب وياتي به
فقال الغزالي على ذلك فقال له انت مضو فقام
الغزالي واخذ معه مايه انسان تقاوه العسكر
فاتم النهار الا وهم في منيه عمر فوجدوا الامير
احمد ابن بقر واقف في الانتظار فلما اجتمع
به تنبري سلم عليه وقال له انزل الى الضيافه
فقال له اسرع لي بشادبك الاعور واسرع معنا
الى السلطان ليكافيك ولا تخبرني كيف مسكته
الا وكن سايرين فعند ذلك احضره وهو مقيد
مرند

118

ووقع نصر علي قنبردي الغزالي واحمد ابن بقر فقال لهم
الله يخون الخاين فلم يردوا له جوابا وركبوه على بغل
وشدوه من تحت بطنه وطاردوا به كما يطير الغراب
اذا اخذ البيضه فكانه بيضه وهما الاعزبه قال
الراوي ثم اخذ احمد يحكي لقنبردي كيف قبض عليه
فان الامير شاذبك لما خرج من الغابه بعد ان ابى
من السلطان طومان باي قصد صديقه وحبيبه
الامير احمد ابن بقر فلما وصل اليه اكرمه وزاد في
الكرامه وقال له لا تخف ولا تحزن حيث ما وصلت الي
واحكي له الامير شاذبك كيف سلم نفسه لعدوه ورمي
سلاحه وكان ذلك سببا لانقضا الدوله ثم دخل
الليل فنام الامير شاذبك لياخذ لنفسه الراحه
وكان له مدة ايام وليالي ما نام ولا طرق عينه
النوم فنام واطمان على نفسه فقال الامير احمد
ابن بقر لاصحابه خطر عندي شي اذ لو لكم فالوا وما

هو

قال ان هولا القوم دولتكم لتهم قد زالت واني
اريد ان افعل كما فعل حسن بن محمد عي واجعل لي يد عند
السلطان سليم واخذ الكره علي غيري فقالوا له
هو صواب فقمت من ساعتي ودخلت عليه وهو نايم
ومعي نحوا العشرين نفس وضربته سنوت لعد ان نبهته
بسرعه فلما رفع راسه وهو مدهي وضربته في راسه
ولطمته وامرت بقية الحاضرين فوقعوا عليه وكتفوه
وقيدته وازندته وارسلت لكم علي الفور واعلمتكم
بذلك فتكره الغزالي وقال الان اشتفي قلبي من هذا
الاعور الخبيث ولا زالوا محدين حتي اوقفوه بين يدي
السلطان سليم فتامله ونظره من اكمل الرجال
وهيبته ظاهره وشجاعته وبراعته لابسه ذوا
شكاله ووقار وضخامه وحشمه فاراد السلطان
ان يختبره في كلامه حتي ينظر عقله فقال له السلطان
يا تاذبك كيف رايت الدنيا قال كلا شي فقال له
حيث

حيث هي كلا شي كيف تحاربنا وتقاتل فيها فقال اما قاتلت
ولا نافست احدا وانما قاتلت عن مالي وعرضي وكتاب
الله وسنة رسوله اجازلي في ذلك حيث قال فمن اعتدى
عليكم الايه وقوله تعالى اذن للذين يقاتلون الاية
وقال رسول الله من قتل دون ماله وعياله كان شهيدا
فنحن ما قتلنا كم الا باذن من الله ورسوله وانت
باي فابل استحليت دمانا واموالنا فقال له
السلطان سليم قد استفتينا عليكم اولا وثانيا فاجا
زولي العلما في ذلك انكم تقتلون ملوكم وتاخذون
الاموال بالسيف ولا تقفوا على الحدود الشرعيه
قال له شادبك اما قتلنا الملوك فهو كلام باطل
فقد قام السلطان المرحوم ~~الغوري~~ قيتباى نحو الثلاثين
عام ملك مصر الى ان مات رحمه الله تعالى واما
ابنه محمد فقد تعدي الحدود الشرعيه ولم يتوقف
على حد الشرع ولهذا قتلناه واما الذين تولوا

بعده فلم نرفتهم قابلية الملك فلهذا انما هم منهم من
جبساه اتقا اثره ولقد اخترنا المرحوم قانصوا الغوري
وجعلناه سلطانا فا قام الى ان نخرج اليك لامر اراده
الله في الازل الى ان ختم الله له بالايمان وحضره منيات
الموت ولا تخف يا فتيين من الموت فقد قال تعالى انك
ميت وانهم ميتون الى اخر الاية يوم يجزي المحسنين
باحسانه ويقابل المعتد بن سطنه وانتقامه ولا
عدوان الا على الظالمين وسوف ينتقم الله من
اساعه وسلام الله ورحمته على المتيين فلما سمع منه
السلطان هذا الكلام وهذه المبالغات الذي
الذي هو اشد من ضرب الحسام بل كلام يحتى بادلا
قاطعه وبراهين ساطعه وايات من الكتاب والسنه
لا يمكن فيها الطاعن ولا المدافع ابدا فاشار لهم بيده
ناخرجوه في الترسيم افقدوه قال صاحب الحديث ان
السلطان سليم في اليوم الذي خانوا فيه السلطان
طوما

120

طومان باي امر في جميع مصر ان تنادي بالزينه فزينوا
الناس جميع مصر والقاهره وجميع البيوت والدكاكين
وامعنوا في ذلك واشيع في مصر وفي اقاليمها ان السلطان
طومان باي مسكوه بمواسة حسن بن مرعي وصاروا الناس
منهم من يصدق ومنهم من يكذب فلما كان في ليلة
الاحد واحد العشرين من شهر ربيع الاول سنة تاريخه وكان
السلطان طومان باي صلا صلاه العشا وجلس وهو
كثير الفكر زايد الضجر سابع العبرات فاخذته سنه
من النوم وهو جالس فاذا هو بشخص واقف قدامه
وقال له يا طومان باي تقدم هنك للرحيل مضي
الكثير والقليل وجا الوقت المعلوم فانتبه من
نومك وقد وصل من اراك من اهلك وقومك فانتبه
فزعا مرعوبا وتعوذ من الشيطان وقرا شيا من القران
ونزل عليه شي من النوم ثقيل فانضجع كانه ميتا وقيل
فلم يري في عمره اثقل من تلك الساعه والسبب في ذلك

قال

ان الروح تعلم بفراق البدن فتودعه بطيب الوسن
ثم افاق بعد ذلك فوجد نفسه كانه صب عليه الماء من
كثر العرق وهو الحاكي عن نفسه بذلك للقاضي اصيل
الطويل فانه لم ياته احد من اهل مصر غيره و اوصاه
بان يغسله ويكفنه بيده وقد فعل ذلك كما اوصاه قال
الناقل وما زال السلطان طومانباي على سيرته الي
الصباح فلما تباينت الوجوه واذا بالجوا و شيه وقد جاوا
اليه وقالوا له كلم السلطان بيطلبك فقام معهم
وساروا به الي ان قرب من خيمة السلطان سليم
اوقفوه واذا انقالي اغا قد خرج من عند السلطان
وقال قد برز امر الخنكار ان يسيروا به الي باب زويله
ويصلبوه عليها وجاوا اليه ببغله وركبوه عليها
وقيدوه من تحت بطنها وادرتمن حوله الانكشاريه
والعساكر من ساير الطوايف وخرجوا من انبابه
ونزلوا في المراكب وعدوا به الي بولاق ودخلوا

به

121

به من باب القنطره الي مرجوش الي بين القصرين وقد
انقلبت الدنيا بالضجيج والبكا والصياح وكان الواحد
من عسكر الروم يجي الي الرجل من اهل مصر ويقول له هذا
السلطان طومان باي ام غيره فيقول بل هو وكان ذلك
اليوم علي اهل مصر من ايشم الايام بكت فيه الارامل
والايتام والخاص والعام قال الراوي فلما وصلوا
به الي باب زويله وجدوا الحبل مرخي فاسرعوا به وتنزلوه
من علي البغله وصلبوه من غير مهله ثم بعد ثلاثة ايام انزلوه ورد
به في نعش الي قبة السلطان الغوري فغسله القاضي اصيل
الدين وكفنه في ثياب ارسلها له السلطان سليم من
خاص الموصلي الرفيع ثم صلي عليه القاضي اصيل ايضا
كما اوصاه ودفنوه في فسقيه بالقبة المذكوره وارسل
السلطان سليم ثلاثة اكياس من الفضة فرقوها عليه
قال المورخ ذكر سيدي علي ابن الامير اخور انه حضر السلطان
طومان باي لما ان الذي فرق الاكياس علي الناس اعطاني

ثلاث حفنات فضه واعطا القاضي اصيل مثل ذلك
وفرق الباقي على الناس من غير عدد بالنصيب قال
ثم ان السلطان سليم في الساعه التي امر فيها بصلب
السلطان طومان باي احضر الامير شاد بك الاعور
وامر بضرب عنقه وجاب عيا له وغلامه الحاج فارس
واستاذنوا في اخذه فاذن لهم فاخذوه وجاوا به الي
المدرسه الشركسيه وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه
في مسجد من داخل الخرخه التي عند القرن بالقرب
من المدرسه المذكوره وكان هذا اخر مذة الجراكسه
وهو الواحد والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث
وعشرين وتسعمايه قال الناقل لهذا التاريخ وهو الشيخ
احمد بن زنبل المحلي الرمال ان الذي وصل الي علي
من لفظ سيدي محمد بن السلطان الغوري ان السلطان
سليم ما كان في نيته قتل السلطان طومانباي وانما
المتسبب في ذلك خير بك نايب حلب وجنبردي الغزالي

فانهم

فانهم لما راوا السلطان سليم لم يسهل عليه قتله وصرح
لهم في المجلس العام بان مثل هذا لا يقتل لما راي كلامه
كله سدادا وهو حق وصدق وثبت عنده صدقه
وظهر له حاله وراي من شجاعته ما يفوق الوصف
ما سهل عليه قتله وكان مراده ان ياخذه معه الى
بلاد الروم ويبقيه عنده وخيره بعد ان يستحلفه
الايمان المغلظه وثبت عنده دينه وصلاحه وكان
رحمه الله محبوبا لكل من يراه ولا يراه قريب ولا غريب
الا احبه ويشهد له بالصلاح فخشي خير بك على نفسه
وكذلك قنبردي ان السلطان سليم ان اخذه معه
وصار بينه وبينه اتحاد لا يبقي عليهما فاخذا يدبرا
في الحيله ويحسنا للسلطان سليم قتله وانه متى
ابقى عليه لا يتقام له راس ابدا فربما يفسد عليه عسكره
فانه رجل شجاع وكريم الى الغايه والدنيا لا تيمه
لها عنده وخصوصا للاجناد والعساكر فعند ذلك

اقتضى راى خاير بك والغزالي ان يكتبوا للسلطان ورقه
ويرسلوها اليه من غير ان يشعر بها احد من الوزرا ولا من
غيرهم ومن جملة ما كتب فليعلم مولانا الخنكار
ان اهل مصر والاجناد التي تشتت من الجراكسه لم
يصدقوا ان سلطانا تم سلم نفسه وقبض عليه وكذلك
اهل الاقليم والعربان وكذلك العربان انتعلم انك
متي ابقيته عليه فقد ضيعت تعبك وسفرك وهلاك
عسكرك واموالك فانه مجرد ما اتا فوز من هذه البلاد
لو كان تحت الارض من خرج منها وافسد عليك عسكرك
بالعطا وتندم حيث لا ينفعك الندم فان اردت
ان تطيعك الممالك والبلاد وتحتوي علي ساير
الاجناد من غير ممانع منها ولا مدافع بدفعك عنها
فعجل بهلاكه وارسل اصلبه علي باب زويله ليراه الخاص
والعام ويشاع ذلك في ساير البلاد وبروق
الدنيا وتملك هذا الاقليم العظيم الذي ليس له نظير
في

١٩٣

في محبة الدنيا ولقد قال بعض الحكما عدوك
لا تصافيه وحبيبك لا تجافيه وقال الحزن الحبيب
العواقب ما الدهر له بصاحب فعند ذلك امر
بصلبه وبي عنق شاذ بك كما تقدم من صفة السلطان
طومان باي ومدة سلطنته وما كان فيه من الخصا ل
الحميده وعمره وساير احواله فكان رحمه الله على
ما حكاه سيدي محمد بن السلطان الغوري والقاضي
اصيل الطويل والامير زمك الناشف وغيرهم
من راه وعاشره وعارفه ظاهرًا او باطنًا فاتفقوا
الجميع انه كان مقدامًا خيرًا خبيرًا بمواقع الطعن والضرب
والدخول في الميدان والخروج منه لا يرهب الابطال
ولا يخطر له الموت على بال وقد ذكرنا ذلك في
حروبه ووقايعه وكان متوسط الطول ذهبي
اللون واسع الجبين اسود العينين والحاجبين
والمحيه وكان دينا صالحًا خيرًا فاصلا ملازم

الصلوات

كثير الصدقات دايم الصمت زايد الادب في السكوت
والخضوع والخشوع هادي الطبيعه كثير الاطراف
ملازما لزياره المشايخ الاحيا منهم والاموات حتى
انه لما غسله الغاسل وقلعوا ما عليه من الثياب
وجدوا على بدنه جبة حمرا واوصى انه يدفنوه بها
ولم يظهر عنه شي في مده حياته مما يفعله اهل التجبر
من اللباس والعمايم وكان الغالب عليه السكينه والوقار
وكان الغالب على نفسه رزين في احواله مر الكلمه
ذو احصا وكثره رحمه وشفقته على كل احد حتى
انه لما ظهر منه هذه الشجاعه والفروسيه في
قتال السلطان سليم صاره الناس من اهل مصر
وغيرهم يتعجبون منه غاية العجب ولا كان احد يظن
ان هذا هذه الصفه وكان الذي عنده ما راه
يظن انه عبد صالح فان الصلاح والخير يظهر
عليه وقد تقدم في هذا التاريخ ان السلطان سليم

١٢٤

ما هان عليه ان يقتل وقال والله لو اطاعني على
مرادي ما كنت دخلت له ارضا ولا بلادا ولكن لكل
شي اوقة حسبه حتى جرى القضا والقدر والعقل من
قتل وسلم من سلم والعمة بجمع وكانت زوجته خوند
بنت دوادار كبير وتزوجت بعده برجل يقال له
ابن الشيخ ابراهيم الكاشني وبقيت معه الى ان مات
ولم يخلف السلطان طومان باي بعده اولاد ذكور
ولا اناثا واكثرت فيه الشعرا من المديح والقصايد
ومضى كانه لم يكن وكان القاضي اصيل الطويل
دايما يحكي عن السلطان طومان باي هذه حكايات
عزيبه وامور عجيبة تشهد له بانه من عباد الله الصالحين

قال الناقل لهذا التاريخ وهو الشيخ احمد ابن زنبل

كان القاضي اصيل المدين طويل القامه عريض الجثه
كثير اللحيه عريض الحاجبين غزير شعرها وكان فصيح
اللسان صاحب فصاحه وبلاغه وفطن وقوة قلب

وشان خصان واقدام في الامور مات رحمه الله تعالى
في سنه سبعين وتسعمايه رحمه الله تعالى عليهم اجمعين
وعلى ساير اموات المسلمين قال الراوي لهذا الكتاب وهو
وقد قدمنا في هذا التاريخ ان السلطان طومان باي
تسلطن في يوم الاحد الخامس عشر من شهر رمضان سنه
اثنين وعشرين وتسعمايه وانقطع اسمه من الخطبه على
منابر مصر في اول سنه ثلاثين وعشرين وكان من حين
ضربت له السكه والخطبه الى زوالها ثلاث شهر ونصف
ومن اول سلطنته الى وفاته سته اشهر وخمسه ايام
قال المورخ وفي الساعه التي امر السلطان سليم فيها
بصلب السلطان طومان باي وقتل الامير شاذبك احضر
فيها شيخ العرب حسن بن مرعي وابن عمه شكر وشيخ
العرب احمد ابن بقر وخلع عليهم خلع من خلع الملوك عظام
واعطا كل واحد ولايه بلاده اقطاعا الى ان عرن
لا يحمل منها مالا ديوان السلطان ولا درهم ماد اموالي
فقد

125

قد الحياه. وارسلهم الى بلادهم بعد ان احسن اليهم احسانا
جزيلا ثم امر السلطان ايضا بتوليه الكشاف فولي
الامير جانم البهنسا والفيوم وجانم هذا من الجراكسه
الذي كان مع الجراكسه وانكسر من الصعيد وقد
تقدم ذكره ثم ان السلطان ولي ابو احمد رفيق جانم
علي المحله واقليم الغربيه ثم عزله عن المحله واعطاه
الجيزه وارسل الى المحله امير صبحي ثم احضر قضاة
القضاه الاربع الذين كانوا على ايام السلطان طومان
باي وولاهم على ما كانوا عليه في مناصبهم وامر ان
يكتب في الدواوين لجميع الحكام بعدم المعارضه
لاصحاب الاقطاعات والارزاق والاوقاف والجوامع
واولاد الامرا الذين تخلفوا بعدهم وكل من كان بيده
شي من الارزاق هو باقي عليه وعليه لعنة الله ثلاث مرات
على من عارضه في ذلك ففرح الناس بذلك غاية
الفرح ثم ان السلطان قال للامير خير بك اريد اعلم

قدر مال مصر وما يجمع منه في كل عام قال يا مولانا
السلطان القاضي ابو بكر ابن الجيعان يعرف هذا فامر
باحضاره فلما احضر قال له خبرك مولانا السلطان
يريد ان تخبره بما يتحصل من مال مصر في كل سنة على وجه الاختصار
فقال في غدا ان شا الله اتيه بالخبر ثم انصرف ورفع
الدفاتر الذي جا بها وجا في ثاني يوم وقد كتب خراج
مصر على طوره فتعجب السلطان من ذلك فقال له السلطان
احسنت حا القول ما قل ودل ثم ان السلطان امر
بالرحيل من بر انبابه وجا الى المقياس ونزل فيه ومعه
الامير علي بن عمر شيخ الهواره فخلع عليه بامرية الصعيد
بمدينة جرجه وخلع على علم الدين شيخ بني عدي وكتب
لهم التواقيع بذلك وخلع عليهم وانصرفوا قال صاحب الحديث
ومن غريب ما جرى ان الامير قادصوه الغادلي لما
سمع بشنق السلطان طومان باي وقتل الامير شادبك
كان عليه يوم اشنع الايام وهجر الطعام والمنام ثم انه
حزن

126

حرت في نفسه بان يحيل على قتل السلطان سليم فسهر
ذات ليلة فيما يدبر وكيف يفعل فدبر في نفسه ان يلبس مثل
العرب ويأخذ معه جماعة من اهل القوة وينزل في
مركب ليلا ويسيرها الى تحت المقياس ويجعل له سلم
تعليق ويصعد فيه وينزل الى داخل المقياس ويقتل
السلطان سليم ويأخذ ثار قومه وما علم ان الحق
ناله قاتل ثم انه فعل ذلك حتى وصل الى الطاقة
التي فوق المقياس من محل السلطان فوجد الحرس
مستيقظين وسمع حديثهم فكمن في محل وقال في نفسه
اصبر لهم الى ان ينامو فلما سكت حسهم ظن انهم نامو
وكانوا يتناوبون الحرس بالساعات فقام ومشي الى ان
قرب اليهم فقطنوا له وراوه بالهيبه فقاموا يتصايحو ن
بالسيوف مسرعين في طلبه فرجع هاربا الى الموضع الذي
طلع منه وفيه السلم التعليق فادركوه قبل ان يصل
اليه فما ساعه الا ان رمي نفسه من فوق الشرايف

الي البحر وارخي في التيار وتبعه جماعته بالقارب وخلصوه

وهو عايم فاطلعوه واخذ دوابه ولم يبلغ مقصوده

واما السلطان سليم فانه قام مرعوبا منزعجا لما

سمع الصيحه وطل من اعلا القصر ونظره وهو عايم

في الما فامرهم عليه بالرمي بالبندق فلم يصبه شي

من ذلك الي ان وصل الي ساحل بولاق فاختفي

عند شخص من اصحابه يسمي المعلم محمد البولاقي وبقي

متقهرا الذي لم يبلغ مقصوده والقدره تقول له ان

الذي بقي من عمره ثلاث سنوات فانه ما خرج من مصر

الا مصروبا بفرخ جمر في ظهره نغذب به المذ المذكور

الي ان مات بالقسطنطينيه في سنه ست وعشرين وتسعمايه

ودفن بها ومن الغرايب ان مدفنه لم يبن فيه احد

ولا يزوره احدا الا في النادر ومدفنه مظلم لا شي

عليه ولا نور انيه مطلقا لانه كان سفاكا للدما

لا يتوقف في قتل احد واما تربه والده المرحوم السلطان

١٩٦

ابا يزيد نايرة عامرة اهله بالناس لا ينقطعون عنه
الا ان كان بعد صلاة العشا فانه كان عبد صالح
لا يشك عنه احد في ولايته وكان بينه وبين السلطان
قايتباي مودة عظيمة ويهادون بعضهم في كل عام
ويراسلون بعضهم بالسلام ويطلبون الدعا من بعضهم
الى ان توفاهم الله تعالى وتغمدهم برحمته واعجب
من ذلك ان خيربك ملك الامرا بمصر لما ان قامه
السلطان سليم على ملك مصر الى ان يموت ثم امر يعمل
تربة لنفسه وجعلها في باب الوزير على طريق القلعة
يمر عليها الباشات والصناجق والاغاوات اعيان
ذهابهم وايابهم فلم يلتفت اليه منهم احد ولم يترحم
عليه ولا يقرا له منهم احد فاتحة مع انها تربة مليحة
المنظر ومع ذلك صد الله عنه قلوب الخلق لانه كان
سبب الهلاك الوف مولفة من الجراكسة والاروام والعرب
وغيرهم وقتل عساكرها فوجدوا الله رحمته عن كونه

كان بعض السلاطين الذي كان تحت لهم من الدنيا وهو صاحب القلعة من اوقات على وجه الارض الذي جلب والفنا هو

١

نعوس فسبحان من يفصل بين هولاى في العيمة فيما كانو

فيه يختلفون **قال الناقل** ثم ان السلطان سليم اشتهى خاطره

ان يذهب الي الاسكندريه ويتفرج عليها ويحيط بها

علما ثم خرج في خمسماية نفس من اخصايه وانحدر في

البحر وري مدينة فوه ورشيد وغيرهم من البلاد

وراى تلك الارزاق وتلك الخيرات التي كانت في ايام

الجراكسه فتعجب من ذلك وقال ان هذا اقليم لانظير له

في كثرة الارزاق والخيرات ثم انحدر الي رشيد احاط

بها علما ثم طلع من البر الي الاسكندريه واقام بها

ثلاثة ايام احاط بها علما ثم رجع ونزل في المقياس

وبقي في كل ليله ينزل الي الذهبيه التي عمرها السلطان

قانصو الغوري وكانت كلها منقوشه بما الذهب

كالاسقف المعرقه التي في الغوريه وكانت لها بهجة

عظيمة وكان الحاج عبد القادر ابن الاعرج هو الريس

الذي يمسك الدفه ويقلع ويحدر فاتفق انه في بعض

الليالي

128

الليالي لما اراد السلطان الطلوع من الذهبيه المقيا

فلما قاربت الذهبيه سلالم المقياس همز السلطان ان

يطلع فلم تصل رجليه الي درج المقياس ليغطس بين الدرج

والذهبيه وكان الحاج عبد القادر بن الاعرج واقف

نادابه ليطلعه فلما راه اهوي الي البحر وكان يتلاحق مما

حصل الا عنقه فمسكه من تحت لحيته وجذبه من الذهبيه

الما وساعده عمر السلطان فاطلعه الي المركب وقد غاب

صوابه وايقن بالغرق فلما ردت اليه الروح قال له

تمن علي يا عبد القادر قال تمنيت عليك ان اكون معرف

البحرين فكتبها له السلطان باكمها الي الممات من غير

ان يحمل منه ماشيا الي الديوان وان يكون مسموع الكلام

مقام الحرمه الي ان يموت واعطاه عطايا الملوك

فانه كان حياته علي يديه فلما اصبح السلطان امر

بالترحيل فاتر له العشا خير بك في بيت كريتيه الذي

كان علي بركة الفيل فانه ليس له نظير في حسن بنايته

ومنظره فاقام به اياماً ثم امر بالرحيل الى القسطنطينيه
وكان من امرا الصنجق اميراً اسكن في قناطر السباع هجم عليه
طايفة من الانكشاريه فقتلوه فوصل الخبر الى السلطان
فامر بالقبض عليهم وقتلهم عن اخرهم وكانوا نحو العشرين
رجلاً ثم ان السلطان قبل الرحيل خلع على خاير بك
بنيابة مصر وابقي عنده خمسه الاف انكشاري ما عدا
العسكر الخياله وقال له هذه المملكة اقطاعك الى ان يعون
وكذلك فعل بقنبردي الغزالي اعطاه الشام اقطاعا
الى ان يعون ثم ان السلطان امير خير بك بانه كل من جاء
من الجراكسه الهاربين وطلب منه الامان يقبله ويبقيه
على منصبه ووصاه ووكد عليه في ضبط البلاد
والانصاف في العباد ثم انصرف السلطان وامر بالسفر
فلما سمعت الجراكسه بذلك اطمانت قلوبهم الامير ازدمر
الناشف والامير بردبك وسيدي على ابن سودون الدو
داري وغيرهم ممن كان مختفياً وطلبوا الامان من خير بك

فامنهم

١٢٩

فامنهم واستقل خيربك على مصر تصرف فيه تصرف الملوك
واما سيدي محمد بن الغوري فانه اخذه معه السلطان
سليم الي بلاد الروم وكذلك الامير قانصوه العادلي
فان السلطان لما ان جاءه قانصوه العادلي في المساكن
وجري ما جري واراد قتل السلطان كما تقدم فارسل
خلف خيربك وقال له لابد ان تاتيني بخبر هذا الرجل
الذي خاطر بنفسه وجاني في هذا الليل ليقتلني فاستفحص
خيربك الخبر فقيل له هذا الامير قانصوه العادلي فلما
اخبر السلطان به قال له لابد ان تاتيني به فقال له
ان لم تبرز امرك له بالامان فلعل الا يطيع ويدخل في بر
مخالفة السلطان ايضا فانه مخالفة انه ان قال له بالامان
فعليه امان الله ورسوله والخاين يخونه الله فارسل
خيربك من استعطف خاطره وقال له السلطان قد ندم
علي ما فعل في قتل الامرا وما كان قصده شي من ذلك
وانما عنادهم اوجب ذلك فانهم لو اطاعوه في الاول

بالسكة والخطبة كان كف عنهم وابقاهم ولكن جري القلم
بما حكم وما بقي لاتنو ولاحرو والاحسن ان تقابل السلطان
لاجل ما نامن علي مالك وعيالك ثم ضمن لاخير بك انه
لا يضر شي ابدًا وتكلم معه كلامًا كثيرًا فلما طلع النهار ركب
خاير بك وقانصو الي ان قابل به السلطان فلما نظر
اليه السلطان تامله وقال له انت قانصو قال نعم قال
له انت الذي جيتني لتقتلني في العباس قال نعم قال
لي صف كيف صنعت فوصف له جميع ما فعل فقال له لاي
شي فعلت ذلك فقال له اما تدري ما فعلت انت سلطاننا
وعساكرنا ويمن اطفا النار هتكت حريمنا واخذت
اموالنا ونحن مسلمين مثلك فقال له يا قانصو هذا
ما كان في خاطري من الاول ولا كان في قصدي
شي من ذلك واغما وجب هذا العناد الغوري ثم قال
له كما تقدم في شاذ بك رحمه الله تعالي من غير تطويل
فقال له وقد تم الامر وقد عطف الله قلبي عليك وقد

ابقيتك

130

انقبيتك على مالك فعيالك فقبل قاصوه الارض واعتذر
اليه ما جا في تلك الليله الا من القهر من ان السلطان
خيره في ان المقيم في مصر معززا مكروما او يذهب معه
الي بلاد الروم فاختار الذهاب محبته في سيدي محمد بن
الغوري فاخذه السلطان سليم معه وامر عساكره بالكرامه
وكان السلطان يامر بان يلعب بين يديه بالرمح والسيف
اذا بيعجبه منه ذلك فقال العسكر انظروا اهل فيكم شي يعرف
هذا فقامت نفس يونس باشا الذي هو الوزير الاعظم
ثم اغلظ علي السلطان في الكلام وقال له من بعض قوله
ما الذي فعلته واخذت البلاد من الجراكسه ثم اعطيتها
لهم ثانيا دعاديتهم ثم صافيتهم فما هذا الراي فلو عرفنا
ذلك ما جينا معك ولا اطعناك في شي من ذلك فقامت
نفس السلطان من هذا الكلام فامر بضرب عنقه في الوقت
وقتل غالب اخصاوه تبعا له ثم هرب من يونس باشا وبعض
جماعته فما ساعهم الي مصر فقبض عليهم خاير بك وارسلهم للسلطان

فامر بقتل الجميع فلما وصل الى دمشق الشام خلع علي الغزالي
واعطاها له اقطاعا الي ان يموت لا يوخذ لا يوخذ منه
ولا درهم الفرد فلما وصل الي القسطنطينيه امر بالزينه
فامضت اهل بلاد الروم في ذلك فاقام لها الى سته
سته وعشرين وكان مدة ولايته في السلطنة ثمانيه سنين
وثمانيه اشهر وتسعه ايام وكان مدة ما عاشه من العمر
بعد اخذ مصر ثلاث سنين وتسعه اشهر وسته ايام
ونزل الملك الى ولده الملك سليمان وكان من الملوك
العادله رحمه الله ومكث في الملك نحو الثمانية وا
ربعين سنه وشهور لا تحصل وكان ملكا حليما كريما
فاضلا ذو هيبة ووقار فلما بلغ قنبردي الغزالي موت
السلطان سليم وقد تولى ابنه السلطان سليمان وهو
شاب صغير طمعت نفس الغزالي الخبيثه في ان ينبسط
بالشام ويعيد الملك الي الجراكسه كما كان في الاول
ويكون هو سلطانا وتعلق امانه بالمحال فاخبر

اخصاه

191

احضاوه عما في نفسه فقالوا له ليس انا قدرة على ذلك
ونحن فيه قليلة ولكن ارسل الى صاحب مصر واعلمه بذلك
فان وافقك على شي من ذلك رعا ان يمكنك ان تفعل
ما قلته والا فلا قدرة لك على عساكر الروم وكثرهم
ويترانهم فيفعل بسبب ما تقدم فقال لهم انما كان ذلك
من السلطان سليم واما هذا ولد صغير وليس له قدرة
على فعل شي من ذلك ولا اظنه يتم سنته في المملكه
وما اعلم انه يقيم في الملك ما يقارب الخمسين عاما
ثم ارسل اعلم خيربك عما في ضميره فارسل له خيربك
جوابا بان لا يفعل شي من ذلك فلم يقبل من خيربك
شي من ذلك وسولت له نفسه الخبيثه بان يتسلطن
وارسل لخيربك ثانيا يقول له ان لم تطعني على ذلك
والا جردت عليك وحاربتك اما بي واما بك فلما
راى خيربك منه الجد ارسل اليه خادعه وتقول له اذ كان
ولا معول على ذلك اذهب الى حلب وخذها فان ملكتها

كنت انا مساعدك فيما تريد وموافق لك علي ما تقول
فلما جاله الجواب فرح بذلك وارسل خلف سيدي محمد
بن قوتماني وقال له انظر مكاتبة الامير خاير بك ملك
الامرا الذي تقول انه لا يوافق علي شي من ذلك قال له
انما خادعك به لما ان راي سنك الحد ولكن ان قبلت
راي اترك هذا الكلام عن بالك واقعدني خالك
فقال له الذي ظهر لي منك انك رجل بابي ابن ناس
وزير مزري في العز والدلال اقعدانت في الشام واحفظ
السلطنه الي ان ارجع اليك وتنظر الرجال كيف تفعل
فقال له ها انا قاعد لك هنا واذهب حتي انظر كيف
تصنع وما اخوفني عليك ثم ان الغزالي امر بالتجريد
علي مدينة حلب ولفق له عساكر من كل جنس من عرب
ومن جركسي ومن كرد ومن دروز ومن سفل العالم
ومن لا خير فيه وخرج من دمشق في ابهة عظيمة من شر
ادي الناس ومن لا يرجي منه خير فلما وصلت الاخبار
الي

192

الي نايب حلب بان الغزالي جمع له جموعا من كل جنس حتى
على نفسه من ذلك فانه كان اميرا من صناجق السلطان
سليم روميا لا قدرة له على ملاقات تلك الجموع فما ساغ
الا الكتب بذلك كتابا وارسله مع عشرة جاوشيه الى
السلطان سليمان بان يرسل له عساكر ترد الغزالي والا
اخذت مني حلب فها انا محاصر الي ان يريد الله بامره
ثم عند ذلك امر السلطان ايانى باشا الذي كان اغات
الانكشاريه مع السلطان سليم حين اخذ مصر من الجراكسه
وايضا له معرفة تامه بالغزالي وخيربك فخرج من
مشهم مدينة اصطنبول الي حلب ومعه خمسة الاف انكشاري و
اسباهيه ومن الزربطانات و الالات الحرب يعوق
كان هذا اما كان من امر ايانى باشا واما الغزالي فانه
قبل خروجه من دمشق منع الدعا للسلطان سليمان
من الخطبة والسكة باسمه وتسلطن واطاعته العساكر
واهل الشام وخطب له على منابرها وامر بالزينه تزينت

بزينة لم يعمل بتلها مدة سبعة ايام وامر بالزينة الى مدينة
حلب كما تقدم فلما وصل اليها وخرابوابها قد قفلت
وطلعت العساكر على صورها فلما قرب منها رموا عليه بالمدافع
والاحجار فامر باقامة لحصارها فمكث ايام فلم يقدر على
لخذها ودخل عليه الشتا ودخل عليه البرد فما ساعه الا
الرحيل عنها ونوي انه اذا جا الصيف يرجع اليها ولا
يبرح عنها حتي ياخذها طيبة او غصبيه فلما امر
بالرحيل عنها اخذت عساكر حلب واهلها في شتمه وسبه
ولعنه وهو يسمع كلامهم وصياحهم وضحكهم عليه ورجع
مخزيا مشتوما مطرودا فلما رجع الي دمشق تفرقت تلك
العساكر الي بلادها وقد دخل عليهم الشتا وقاسوا من
البرد والمطر ما لا يوصف واما الغزالي فانه ضاقت صدره
وخابت الاخبار بان باشت حلب قد كتب للسلطان
سليمان كتابا واخبره بما فعلت وكانت عساكر الروم
وهم قاسي في السكه مع اياس اغا وما هم منتظرين الا ذهاب
الشتا

الشتا ودخول الصيف ويأتون اليك في عشا ابن سعد
الارض فانظر كيف تصنع وان تمكنت من الهروب فاهرب
وكان المرسل له ذلك الخبر رجل من اصحابه من اهل حلب
وسفه رايه في ما فعل فعند ذلك اضطرب جان الغزالي
وندم علي ما فعل حيث لا ينفعه الندم فكتم ذلك في
سره وبقي حيران في نفسه كيف يصنع ان هرب ما يسهل
عليه ترك بلاد الشام وان اقام لا قدرة له على ملاقاة
الاروام وقد تشتت تلك الجموع الذي كان جمعها من بلادها
وايضا انه كان قبل ذلك لما ان اراد ان يتسلطن دبر حيلة
وطلعت بيده فهو انه امر بعمل مولد وبالغ في عمله وامر
بان تحضر جميع عسكر دمشق الذي كانوا مع السلطان سليم
وابقاهم في دمشق مع الغزالي من الانكشارية والاغاو ت
وغيرهم فلما اجتمعوا عنده مد لهم سماطا طويلا لم يعمل
مثله وجلست الاعيان في اعلا السماط ثم من دونهم بالترتيب
اخر السماط والتهوا في اكل الطعام فكانت مماليك الغزالي

واتباعه واقفين صفين خلف الذين ياكلون على السماط
وكل واحد منهم سيفه تحت ثيابه المجردة فعند ذلك سطوه
اشار اليهم فحطوا ايديهم في الاروام الذين على السماط
ثم اشتغلوا بالقتل الاروام مقطوعة فوقعت روسهم في
الطعام ولم يفضل منهم ولا واحد فقتلوا اجمعين على
السماط وبقي السماط كله زوبعي وتلف الطعام من
روس القتلى فامر باخراجهم بر دمشق تاكلهم الكلاب
والحداة والغربان فلما فعل ذلك صفيت له دمشق
ولم يبقي عنده من يعارضه فيما يفعل فعند ذلك تسلطن
كما تقدم ولا زال في هم وغم حتى انتزك الشاو ومنه
الدنيا جاته الاخبار بان اياس باشا قادم عليه في
عساكر لا تحصى فازداد غما على غمه وامر بالخروج
لملاقات العساكر وقال الناشجي واما جنبه دلكنه
ندم على ما فعل فان الاحمق يسعى في هلاك نفسه
وهو لا يشعر واما اياس باشا فانه لما وصل الى حلب
خرج

خرج نايب حلب اليه وقاتله واخبره بما فعل من فتح
ابواب حلب وانهم زحفوا على الغزالي من اعلا السور واقام
محاصرا لهم ثلاثة شهور ثم دخل عليه الشتا ورجع الى دمشق
وحكي له جميع ما وقع فشكره الباشا على فعله واخلع
عليه وعلى اغاة الانكشارية التي بحلب ثم وصل دمشق
والتم عليه عساكر من برنا طولي لا تحصى فانه في كل مدينة
دخلها ياخذ منها جماعة الى ان صار في جيش عظيم
فلما وصل الى ظاهر دمشق ارسل خاوشيا بكتاب فيه ذكر
الغزالي بانه يتاهب للحرب والقتال واخذ يوبخه ويحط
عليه ومن جملة ذلك يقول له فانه لو كان فيك خيرا
كان لابنا جنسك كيف يكون فيك خير لغير ابنا جنسك اعما
هذه نيتك الخبيثة انقلبت عليك فلما وصل ذلك الكتاب
الى الغزالي وقراه زاد غما على غمه وضاقت به الدنيا
ولم ينم تلك الليلة وحس بزوال النعمة فنا ساعة الا تاهب
للقتال وقد تحقق انه لا خلاص له من ذلك فلما طلع

امر باقامة الحرب ودق طبل حربه ووقف عسكره ميمنه
وميسره فلما تم ذلك وقد اقبلت عساكر الروم صفوفا ووقف
اياس باشا والتحم القتال فامر اياس باشا للرماه ان لا
احد يرمي لخطم الغزالي علي عسكر الروم حطمة شتتهم فيها
وصار يقاتل قتال من ايس من الحياه وقتل من الروم
مقتلة عظيمة فلما ذلك اياس باشا علم انه لا قدره له
عليها الا برمي البندق فامر الرماة ان ترمي فما شعر الغزالي
الا والدنيا قد انقلبت وانطبق الجو من الدخان فما كانت
الا ساعه حتى ذهبت تلك العساكر والجموع وما سلم منهم
الا كل طويل العمر ونجا الغزالي واقفا لا يعرف كيف يصنع
ولا اين يذهب فالتفت فوجد صحفه واقفا وليس عنده احد
فجا الي حامل الصحق وكان شابا شجاعا اسمه علي بالي رباه
الغزالي من صغره لكن ليس هو جركسي فلما راه الغزالي شجاعا
قربه اليه حتى جعله حامل اللوايه وكان يصرخ ويقول انا
علي هذا عندي اعز من قلبي وما علم ان هلاكه يكون
علي

قال له ولم الذي ذهب امس ومن
لا اذا اركب على الكلاب
روحه فيعده عنده ذلك الذي

على يديه فلما راه واقفا والصبي بين يديه قال له يا ولدي
واين مني وانت واقف وعساكرنا كلها هلكت ونشتت وقال له
ما بقي لنا الا الفرار من هذا العسكر الجرار فقال والله
ما عملت بنا خير وما اضرك لو كنت باقيا على ما انت عليه
امنا على بيتك وانت كنت سلطانا مخفيا قال له ما كنت اظن
ان الامر يجي هكذا فقال ان العارفين قالوا من لم يحسب
العواقب ما الدهر له بصاحب قال له يا ولدي ما بقي الكلام
يغنيك شي ولكن اقلع من على بدنك وصفه في مخلاة واري
الرمح والمخلاة اذا الكمين العادلي قد عنا تنزل عن خيلنا
ونترك لبسنا وننجوا بانفسنا ثم ان الغزالي نزل عن فرسه
ونزع ما عليه من لبس الفولاد الذي لا نظير له وبقي بطاق
القميص وراسه مكشوفة كانه قد تدلى ولطخ وجهه بالتراب
وصار كانه مدفون نادم طلع واما على بالي فقال له ليس
عندك من الراي لو كنا على ظهر خيلنا كنا هربنا ونجينا
نفوسنا او نترك على بعد نحمي انفسنا واما نزولنا في محل المعركة

لا فايدة فيه ثم ان علي ركب فرسه واخذ عدته وهم بالهروب

فقال له الغزالي هكذا يا علي تذهب وتخليني للعدو فقال له

ما الذي تصنع انا قلت لك افعل بنا هذه الفعال فعال المجانين

فهم في هذه الحالة وقد انجلي الدخان ونظرت الناس بعضها

واذا منادي ينادي في الناس كل من جابنا بالغزالي

او براسه او دلنا عليه اعطيناه جميع ما يختاره فذلك علي

فرسه واذا بهم طايفة من السلحدارية والانكشارية فلما وصل

اليهم قال لهم انا ادلكم على موضعه قالوا له اين هو قال اعرف

محله وهو بالقرب منكم ولكني ما ادلكم عليه حتى تعادوني

فقالوا له لك منا ما تريد فقال لهم اتبعوني وقصد الغزالي

وهو يبرم كما تبرم القرندليه ويقول هو هو وقصد بذلك حيلة له

منه لئلا يعرفوه فقال لهم علي يابي هذا القرند هو الغزالي

فقالوا له انت تحرجت يا فاعل يا تارك واخذوا يشتموه

ويسبوه وهموا بقتله فقال لهم امهلوا علي انا ابين لكم ان لم

يكن هو الغزالي والا تكن راي عوض كلامي فقالوا ان الغزالي

قالوا له لكن ذلك قال ان اكون صحبتي فانا الذي كنت حامل صنجقه وانا من اولاد الشام ونحن طابعين السلطان سليمان وكذلك سيدي محمد بن ترجمانش صح

كان

136

كان بالدحرليه كانه جبل من حديد قال نعم وهو يهدد
كالمجاديب وهو يقول هو فقالوا له بعد ان قضوا عليه انت
الغزالي فقال لهم انا درويش فقير عريان ومن اين لي ان اكون
مثل الغزالي فتحيروا في امره وعلى بالي يحلف ويقول لهم لا تصدقوه
ولكن تعالوا انا ادلكم على فرسه ولباسه فنهم على ذلك الكرم
العالي فاخذهم وذهب لحفروا اليه فاذا السه كله وصحفه
مدفونين في التراب فطلعوه ورا وهو عرفوه فقال لهم كيف
تصدقوا ذلك الكذاب نعما انا رجل درويش فتحيروا في
في امره قال لهم على بالي انا اقطع راسه واذهب الى اياس
باشا فانه يعرفه واذا لم يكن هو والا يكن راسي عوض راسه
وجذب سيفه وضربه اطاح راسه ثم انه اخذها وقال
لهم انا واياكم الى اياس باشا واخدوا معه جميع عدته بلما وقفوا
بين يدي اياس باشا تقدم ذلك الاغا واخبر اياس باشا
بما وقع فقال لهم هاتوا الراس انا اعرفها حتى انظرها
فلما وضعوها بين يديه فقال هذه راس الغزالي الا انك

ثم قال لهم ابن الذي ذلكم عليه فقالوا هذا الرجل فاخبرهما بجميع فعل

الغزالي فعند ذلك خلع عليه وعمله امير صنجق وكذلك كذي

محمد بن تومانبي ومن غريب ما وقع في قتلة الغزالي انه وقف

رجل على باب الجامع الازهر ونادي باعلا صوته يا جماعه

ان الغزالي قتل اليوم وما تصدقوني اكتبوا تاريخ ذلك اليوم

فكان كما قال فما مضي الا ايام قلايل جات البولامية من عند اياس

باشا الي خيربك ان الغزالي قطعت راسه في اليوم الفلاني

وكان العاشر من شهر الحجه الحرام سنة سبع وعشرين وتسعمايه

ثم ان اياس ارسل راس الغزالي الي السلطان سليمان فلما سمع البولاقية

تزينت البلاد وحصل السرور وارسل الجواب لاياس وشكره

وامره بان لا يمكن لاحد من ظلم احد وا قابة الحدود واما خيربك

فانه لما بلغه قتل الغزالي تكدر عيشه واوصي واعتق مماليكه

فقالت له زوجته وكانت تسمي قونه مصر سكه وكان تزوج بها

قبله الملك الناصر محمد بن قايتباي وبقيت عازبه مده العوري

الي ان تولي خيربك فاخذها فانه كان الييس له في السار اضحم

منها

137

سنها

وكانت جيده كاتبه خازندار تسمي دولت باي فقال الجمالي

وما ام العام الاو قد مات خيربك نغرخ جمر ودفن بتربته التي

عمرها في طريق القلعة عند باب الوزير المعروفه بالخيربكيه وكانت

الناس تسمع صرخه في القبر حتي صخب من ذلك ثم كانت موتته عبره لمن اعتبر

وهكذا الدنيا تفعل باهلها ثم ان السلطان سليمان شرع في التوجه

الي غزاة جزيرة رودس فانهم كانوا اقوي بلاد وفرحوا بموت

والده وطمعوا في اخذ بلاد المسلمين وظنوا ان ولده سليمان لا اقدره

له علي الحرب فاظهر الله منه العدل والانصاف فخرج بنفسه وقد كان

السلطان ارسل لخيربك ان يرسل له راية العقاب وهي راية رسول الله

فارسلها له وارسل من شباب مصر نحو الفين يركب وجد السلطان

في محاصرة رودس فلما عجز ملكها وعلم انه لا قدره له علي ذلك

كتب ورقه ورمي بها في عود نشاب فجابت في وطاق الاعظم مضمونها الوزير

ان سلطان رودس يريد لنفسه وماله وعياله الامان فامنه

السلطان كما طلب ونزل علي جزيرة مالطه اخذها عنوة وهي الي

الان في يدهم ونرجع الي نيابة الحديث ان خاير بك لما نازل

قدر على من زمان الرجال وسادوا والله الالبي
... وحاصلها كل بيضه ...
ما يجي للدولة من السلطان ... وهد ولا ولد

ثم تولى بعده قاسم باشا الكرك وكان عنده لين في حكمه وكان كاشف
الفيوم والبهنسا جانم المذكور سابقا وكاشف المحله اينال الطويل
وهم الذين غزوا على حسن بن مرعي وابن عمه وقتلوه فاتفقوا على العصيان
وانهم يعزموا ياخذوا المملكه من الاروام فوصل خبرهم الي
الباشا فجمع الباشا العساكر والصناجق وقصد ان يجرد عليهم تجريده
وطلع القاضي موسى بن بركات الي الباشا وقال له يا مولانا الاكمل
هم اكتب لي كتابا بالامان وانا اجيبهم لي عندك فقال له اي شي
ما تقول قال نعم فكتب له فاخذ المكاتيب وفيهم الايمان ان الباشا
لا يضرهم فلما نزل بركات ابن موسى واجتمع باينال فقال له ما جابك
يا قاضي قال لو جيت في امر يسير كثير بسير واحد يخادعه بالكلام
وقال له اذكر لك ما جيت فيه فقال له اينال انا اعرف ما جيت
فيه انك تريد الصلح بيننا وبين الباشا مصطفى وتريد انك
تخادعنا وتقتلنا وتصير انت مشكورا يا كلب يابن الكلب نتر
احد يليق له بالكلام فقال له تكذب فقال له ان الباشا حلف
انه لا يضركم فازداد غضب اينال وقال له يا اسود عشت وجيتنا كولا

198

ثم انه قال ديروا كتافه فاداروها وخرج به من الخيمة حافي مكشوف
قال له ايناك لم يقطع راسك الا انا ثم ضربه ازال راسه عن جسده ثم
ان الامير جانم قدم علي الامير ايناك ثم اجتمعت الجراكسة الذين تخلفوا
وقد التم عليهم شي كثير من عرب وغيرهم فلما اجتمعوا قالوا ما نريد
قالوا اما بني يزيد الا الحرب واما مصطفى باشا فانه امر بتجهيز العسكر
فاول من خرج موسى اغا الانكشارية ثم سليمان اغا التفكشية
وارسل معهم من الزربطانات نحو المايه ولم يرسل بلك الجراكسه
فلما قاربوا العدو وارسلوا يقولوا في غد الحرب فلما اصبحوا
بادروا الي القتال والطعن الي نصف النهار فخارت الجراكسه
في لظى النيران والحشر جانم في القتلى الي وقد عثر فرسه من شق
من الارض كسرت رجله فوقع من علي ظهره وطلع جنبا فلما راته
العساكر حطوا عليه وضربه واحد اطاح راسه عن جسده فاخذها
ورفعها علي رمح ونادي باعلا صوته جانم قتل فلما سمع ايناك
ذلك هرب الي عرب ورجعت العساكر منصورين ثم امر بتعليق الراسين
علي باب زويله ثم امر بها فانزلها الي السلطان سليمان شاه نصره الله ما وقع

وشكره على ذلك وارسل له قفطانا ورقي جميع العساكر وكان
مع ابنا الطائفه مرصوده اذا البسها لم ينظره احد فلبسها وهرب
وكان الوزير الاعظم احمد باشا فعزله السلطان وولى
ابراهيم باشا وزير اعظم ثم انه قعد في بيته وهو غضبان الى ان
ارسله الى مصر باشا فعصي على السلطان وتمرد وقتل في ايامه
باشة الجراكسه حرقوا بالنار وقصتهم مشهوره مع الانكشاريه
وطلوع المدافع من الرداب الذي عصر القديمه وقتلهم الانكشاريه
وكانت المبايعه له في بر الجيزه فقفلوا عليه الانكشاريه باب
القلعه وحاصروه الى ان غلبهم واهلكهم اجمعين وصارت جميع
الخواجات وصار يضربهم قارع وكساوات وكانت تحمل ابن الشباني
وقفوا رادو وقعد ثوبته ايام وشنقه وحبس جاه الحمراوي وظلم العباد
الى ذات يوم نزل الحمام الذي في المراغه وكان هناك صبحي
يسمى محمد بيك تلبس عينه واخذ معه السكر وصار ينادي ويقول
الله ينصر السلطان من جانا عليه الامان حتى التم عليه عسكر جراه
الى ان وقفوا على باب الحمام وطلع من السطوح الى المستوقد وخرج

الى ان خرج من بين العسكر الى ان طلع القلعة فلما ان كان الليل خرج
رحل بهما الليلة الى ان وصل الشرقية الى احمد ابن بوتر فلم يحرد ان ينصر
فلما اصبح الصباح جاءت العسكر فوجدوا القلعة فاضية ما فيها احد
تذكروا لهم بعض الناس انه توجه على عرب السار فاستقصوا
خبره فذلك سبب جاء الحمزاوي ضرب الحمزاوي وكبسوا الكور
الى ان حصلوه وعاينوه عيانا فهربت جميع عسكره الذي معه فقبض
واحد قطع راسه وارسلوها الى السلطان معهم بوابكه فرحانتين بيا
وكان السلطان ارسل ابراهيم بيا الى مملكة الارض من كل جيش
فاخذ معه من الاعيان اغاة الانكشارية احمد اغا والامير
مصطفى بن حبلال وجا معهم خلق كثير مصادفوا الراس في الطريق
ففرح ابراهيم باشا بذلك وقال الابدان اذهب الى مصر وانظرها
وجليبها موقوفة على العلما وامر سليمان باشا على مصر ولخذ معه
الحمزاوي فانه كان تكلم معه بسبب مال مصر التي يتجمد في كل عام ما
اعمل به وقال له اعطي العساكر جوامكهم على التمام من غير اسراف وما بقي
صيره في بيت مال المسلمين لوقت الاحتياج اليه فبقي الامر على ذلك الى ان جا

ابرهيم

[illegible] السلطان [illegible] وصلها [illegible] الى ان وصل الى الباب [illegible] لاجل
مصر [illegible] الباشا [illegible] الله ابراهيم [illegible]
يا مولانا [illegible] مصر [illegible]

بابنا كما تقدم ثم رجع ورجع معه جانم الحمزاوي واجتمع ابراهيم
باشا بالسلطان واخبره بجميع ما فعل وحسن له عبارة بان جانم
مال مصر ضايع تتصرف فيه الكتبة وسلمى في امور لا طايل وقصدا هذا
المال وارساله في كل عام اليك لتصرفه على عساكرك وفي مصالحك
من غزاة وغيرها فامر السلطان سليمان ان يكون جانم الحمزاوي
دفتردار على ذلك من غير ظلم ويضبطه على وجه الانصاف واول
سنة ضبطه فكان سبعة احمال وفي ثاني سنة جابت ثمانية احمال
فحصل للسلطان بها نفع عظيم ولما رجع سليمان من الهند رجع حضر
بابنا واقام سليمان مدة سنتين ثم عزل وتولى مصر داود باشا الطواشي
وكان من اهل الخير والدين والصلاح واقام بها الى ان مات
ودفن بالقرافة بالقرب من تربة القاضي بكار رحمه الله تعالى رحمة
واسعة فانه كان من اولياء الله تعالى والصلاح شاهد له وهذا آخر
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكان الفراغ من هذه
القصة يوم السبت المبارك اربعة عشر من شهر جمادى الاول من شهور سنة
اربعة وثلاثين والف كتبه الفقير الى الله تعالى احمد
ابن الفقير محمد البرديني بلدا الشافعي مذهبا غفر الله
له ولوالديه ولمن يدعو له بالصلاح امين
والحمد لله وحده

[illegible]

[illegible]

